كليوبطرة

ملكة مصرية أم عاهرة إغريقية

CLEOPATRA

93

مايكل جرانت



سلسلة «أعـــلام ومشاهير»
باشراف الدكتور رءوف سلامة موسى
بدار ومطابع المستقبل

وجه الغلاف : انتحـار كليوبطرة لكاجناتشي
ظهر الغلاف : لقاء أنطوني وكليوبطرة لتبولو

اهداءات ٢٠٠١

المستشار/ رابح لطفي جمعة
القاهرة

كليوبطرة

ملكة مصرية
أم عاهرة إغريقية ؟

عن دراسات

مايكل جرانت

والمؤرخين القدماء

دار ومطابع المستقبل
بالفجالة والاسكندرية
مؤسسة المعارف للطباعة
والنشر بيروت

الطبعة الأولى ١٩٨٤

قـواد الأسكندر يتقاسمون امبراطوريته

ولدت كليوبطرة Cleopatra * فى نهاية عام ٧٠ ، أو بداية عام ٦٩ قبل الميلاد . وكانت من سلالة أغريقية خالصة ، أو تكاد أن تكون خالصة . فأن أجدادها من الملوك البطالمة Ptolemies الذين حكموا مصر زهاء ثلاثة قرون ، لم يكونوا يختلطون بالمصريين . وقد قصروا مصاهراتهم الخارجية على أبناء عمومتهم من الاغريق السليوكيين ، الذين حكموا سوريا . كما فعل بطليموس الخامس الملقب بايبيفانس (صورة الرب) . وقليل منهم من خرج على هذه القاعدة . مثل بطليموس الثانى عشر ، والد كليوبطرة ، الذى كان نتاج علاقة غير شرعية بين أبيه بطليموس التاسع سوتر الثانى (المخلص) الملقب بلاتيرس (حبة الباسلاء) واحدى جاريات قصره .

وقد جاءت كليوبطرة سمراء اللون ، فاحمة الشعر ، وأحتفظ أنفها بالتقوس البطلمي الواضح الذى اشتهرت به أسرتها . ويلاحظ أن بطالمة مصر كانوا يتراوحون كثيراً فى لون بشرتهم . فان بطليموس السابع

---

* هذا هو النطق الصحيح لأسمها ، وليس كما يغنيها المطرب محمد عبد الوهاب فهى كلبو وليست كيليو ، وهي بطرة وليست باترة ! .

ثيوس (الرب) فيلوباتر (المحب لأبيه) كان أشقراً .

ولكن عندما كتب روبرت جرين Green عن كليوبطرة ، بعد حياتها بستة عشر قرنا ، تصورها سوداء خالصة . وفى بعض أقطار أفريقيا ، لا يزالون يصورونها زنجية سوداء . وأما شكسبير* Shakespeare فقد تصورها حين كتب مسرحيته عنها ، فى القرن السابع عشر «غجرية» . والحقيقة أن كليوبطرة كانت سمراء اللون فقط . ولم تكن سوداء ، أو زنجية ، أو غجرية .

وكان والد كليوبطرة ، بطليموس الثاني عشر ثيوس فيلوباتر فيلوديلفوس (المحب لأخته) دايونيساس (الآله الاغريقي) قد تزوج ، على شاكلة المصريين القدماء ، من أخته : كليوبطرة الخامسة تريفينا . وأرتقيا معاً العرش البطلمي فى عام ٨٠ ق م . وكان مواطنو الاسكندرية من الأغريق (إذ لم يكن المصري فى الاسكندرية مواطناً) سليطو اللسان. وقد أطلقوا عليه أسم ناثوس (ابن الحرام) وأوليتس (أى لاعب الأوبو أو المزمار) .

ويلاحظ أن بطليموس أوليتس (كما سنطلق عليه) كان محباً للموسيقى، وبارعاً فى العزف على الأوبو أو المزمار . وربما كان بحياته الخاصة شذوذ ! . ولم يكن فى هذا خروج على القاعدة التى أستنها أجداده من البطالمة ! . إذ كان يهوى ، مثلهم ، اقامة الحفلات الموسيقية

---

* أنظر كتابنا « شكسبير » فى هذه السلسلة .

الماجنة ، التى يلبس خلالها الرجال ملابس النساء ، والعكس ! . ويأتون بحركات وأعمال خليعة وفاضحة ! .

ويقال أن الفيلسوف الاغريقي ديمتريوس Demetrius قد رفض ، عند زيارته لبلاط بطليموس أوليتس ، أن يشترك فى حفلاته . ولكن بطليموس أوليتس أجبره على ذلك ! .

وقد أنجبت كليوبطرة الخامسة تريفينا ، لبطليموس أوليتس ، أبنة كبرى هى كليوبطرة السادسة تريفينا . ثم بيرنييس الرابعة . ثم كليوبطرة السابعة (التى نتناول سيرتها فى هذا الكتاب) . ثم أختفت الأم ، كليوبطرة الخامسة تريفينا ، من الحياة العامة فى مصر منذ عام ٨٦ ق م. فلم نعد نسمع عنها شيئاً . بل لم نعد نسمع شيئاً عمن تلاها من زوجات أو خليلات ، اختارهن بطليموس أوليتس لانجاب : أبنته أرسينوه فى عام ٦٥ ق م ، ثم ولديه بطليموس الثالث عشر وبطليموس الرابع عشر فى عامي ٦١ و ٥٩ ق م .

ويلاحظ أن الجغرافي الأغريقي سترابو Strabo قد أكد فى بعض كتاباته ، أن الأبنة الشرعية الوحيدة لبطليموس أوليتس من شقيقته وزوجته كليوبطرة الخامسة تريفينا ، هى ابنته الكبرى كليوبطرة السادسة. فاذا كان هذ صحيحاً ، فان بقية أبنائه الخمسة يكونون قد ولدوا من زوجاته أو خليلاته التاليات .

***

فتح الأسكندر الأكبر* مصر فى عام ٣٣٢ ق م . وقد توج نفسه فرعوناً، على غرار الملوك المصريين ، فى معبد فتاح . وأقام حفلاً رياضياً وموسيقياً كبيراً ، على غرار الاغريق ، فى العاصمة المصرية القديمة منف. ثم وضع أساس مدينة الأسكندرية . وحج إلى معبد آمون فى سيوة. ثم ترك مصر فى ربيع عام ٣٣١ ق م ، لمواصلة فتوحاته الآسيوية . وقد هزم الفرس فى معركة جوجميلا . وتوغل فى الأمبراطورية الفارسية حتى الهند ، مرسياً مكانها أركان امبراطوريته . وتوفي فى طريق عودته من الهند فى عام ٣٢٣ ق م .

وقد أجتمع قواد الأسكندر الأكبر بعد وفاته ، فى بابل . وأتفقوا على أن يتولى أخوه غير الشقيق ، فيليب ارهيدايوس ، الحكم من بعده . وقد فعل هذا بالأسم فقط . وأصبح قائده كراتروس وصياً على العرش . وأنيطت حماية العهد الجديد بقائد آخر هو برديكاس .

وكان بطليموس أحد قادة الأسكندر الأكبر . وكان صديقه ومؤرخه ، وقد انحدر من عائلة بسيطة كانت تعيش فى لاجوس باليونان . ولكن أمه، أرسينوه، كانت أبنة عم لوالد الأسكندر : الملك فيليب الثاني المقدوني . وربما كانت فى وقت ما احدى عشيقاته . ويلاحظ أن بطليموس كان قد حمل جثة الأسكندر الأكبر إلى مصر . فدفنها فى منف ، التى أتخذ منها عاصمة مؤقتة يحكم منها البلاد . ثم أخذ يستقل بمصر . وقد

---

*
أنظر كتابنا « الأسكندر الأكبر » فى هذه السلسلة .

بنى للأسكندر الأكبر ضريحاً كبيراً فى الأسكندريه ، التى كان قد ازمع أن يتخذها عاصمة لمملكته. وربما نقل جثته إلى هذا الضريح بعد انتقاله اليها

وقد حاول برديكاس أن يعيد توحيد امبراطورية الأسكندر وهاجم مصر بجيش كبير فى عام ٣٢١ ق م. ولكن بطليموس هزمه على أبوابها. وأعلن نفسه ، فى عام ٣٠٤ ق م ، ملكاً على مصر بأسم بطليموس الأول سوتر (المخلص) ونقل عاصمة مملكته من منف إلى الأسكندرية

ثم حاول قائد آخر للأسكندر ، هو انتيجونس أن يعيد محاولة برديكاس فى توحيد امبراطورية الأسكندر الأكبر . ولكن بطليموس هزمه هو الآخر فى معركة أبسوس عام ٣٠١ ق م

وأنتهى الأمر إلى انقسام امبراطورية الأسكندر الأكبر الغربية إلى ثلاثة ممالك كبرى : واحدة فى مصر ، والأخريان فى سوريا واليونان

ويلاحظ أن واحدة من هذه الممالك الأغريقية الثلاث لم تؤلف «امبراطورية عالمية» على غرار الأمبراطورية التي بناها الأسكندر الأكبر وانما كانت كلها «ممالك اغريقية محلية» تقوم على المواطنين الأغريق وتحتفظ بالمدنية ، واللغة والعادات ، الاغريقية حتى وان أستعارت شيئاً من المزايا والعادات المصرية أو السورية أو الفارسية أو اليهودية ، الممتدة جذورها فى المواطن التى قامت فيها

وكانت أعداد كبيرة من الأغريق ، قد وفدت على مصر عقب فتح

الأسكندر الأكبر لها . وقد تركزت فى أربعة مدن «اغريقية» رئيسية . هى نوقراطيس عند المصب الغربي للنيل (رشيد الحالية) . وبسوى عند المنشاة الحالية بالصعيد . وبارياتونيم عند السلوم الحالية . والأسكندرية.

وإلى جانب هذه المدن الأغريقية الأربعة ، أصبح الاغريق هم الطبقة العليا والحاكمة فى مصر ، التى تختص بشئونهم محاكم خاصة . ولا يوقع على المذنبين منهم «العقوبات البدنية» التى توقع على أبناء الطبقات الأخرى . وقد عمل المستوطنون الأغريق بالتجارة ، من دون الفلاحة . ولم يكن يسمح لهم بالزواج من أبناء الطبقات الأخرى فى البلاد .

وقد قام فى كل مدينة اغريقية من المدن الأربعة التى ذكرناها «مجلس خاص» يساهم مواطنوها الأغريق عن طريقه فى تسيير شئون المدينة . ولم تكن الطبقات الأخرى فى هذه المدن تمثل فى هذه المجالس . وقد ألف أهم هذه الطبقات الأخرى بالاسكندرية اليهود ، الذين كان عددهم يصل إلى حوالى ثلث عدد سكانها ، ثم المصريون ، ثم العبيد . وكان المصريون يؤلفون أكثر عبيد الأسكندرية ، ويؤلف السوريون والأفريقيون أكثر العبيد فى أنحاء مصر .

ونحن إذ نؤكد على هذه النقاط ، نرى أن الغزو الأغريقي لمصر لم يكن «استعماراً» ، بقدر ما كان «استيطاناً» . وأن مملكة البطالمة فى مصر كانت بالتالي إغريقية أو بطلمية ، ولم تكن مصرية . وأن ملوكها كانوا ملوكاً أجانب من الأغريق ، أو اليونانيين ، أو البطالمة .

ولم يكونوا من المصريين .

* * *

وكان بطليموس الأول سوتر (٣٠٥ / ٢٨٢ ق م) قد جعل عبادة الأسكندر الأكبر ديناً رسمياً فى مصر . وقد أختار له كاهناً اغريقياً أعظم . وحاول أن يوجد شيئاً من التلاقى والمواصلة ، بين الديانتين المصرية والأغريقية ، فاختار ثالوثاً من الآلهة المصرية القديمة هى أوزيريس ، ايزيس / هاتور ، وهاربوكراتيس / حوراس . وقد أضاف إلى هذا الثالوث آلهاً رابعاً هو سارابيس . جعل صورته مقابلة لصورة الآله الأغريقي الأكبر تزيوس. ثم جعل دايونيساس / باخوس ، رب الخمر واللهو عند الأغريق والرومان ، مقابلاً للآله المصري أوزيريس .

وقد أقام بطليموس الأول سوتر لهذا الخليط من آلهة مصر واليونان والرومان ، معبداً واحداً كبيراً فى «السرابيوم» راكودة (الآن كرموز بالاسكندرية) . جعله المعبد الرسمي فى البلاد .

وعلاوة على إرساء قواعد مملكته فى مصر ، أستطاع بطليموس الأول أن يمد حكمه إلى برقة . وأن يهاجم أربع مرات متواليات جنوب سوريا ، حيث قامت مملكة أغريقية أخرى هى مملكة السليوكيين . وقد أستولى منها على مواقع كثيرة . وأخضع جزيرة قبرص . وفتح أنحاء كثيرة على شواطيء آسيا الصغرى وجزر البيلوبونيز . وتزعم عصبة بحر ايجه .

وقد خلفه فى حكم مصر ، بطليموس الثاني فيلاديلفوس ، بين الأعوام ٢٨٢ و ٢٤٦ ق م . وقد جعل بطليموس الثاني والده آلهاً

مصرياً . وبنى له، ولوالدته بيرنيس الأولى ، وللأسكندر الأكبر ، معبداً خاصاً بالأسكندرية . وقد بدأ بطليموس الثانى يحمل ، فى حياته ، ولأول مرة ، ألقاب الفراعنة . ونجح فى تحسين علاقاته بكهنة منف . ولكن علاقات البطالمة بكهنة آمون ظلت على الدوام سيئة .

ويقال أن بطليموس الثاني كان عالماً فى الجغرافيا وعلم الحيوان . وقدم تم فى عهده بناء فنار الاسكندرية ، ومتحفها ، ومكتبتها . وأقيمت فى المدينة بنايات وحدائق ونافورات كثيرة ، حتى أصبحت أعظم مدن العالم القديم بغير منازع .

وكان اهتمام بطليموس الثاني بأمور البحر كبير جداً . فقد بنى سفناً كثيرة فى الاسكندرية ، التى أشتهرت زمن البطالمة ببناء السفن من الأخشاب التى كانت تستقدمها لهذا الغرض من غابات لبنان وآسيا الصغرى . وأرسل حملات متعددة إلى اليونان . وأستولى على جزيرة كريت . وكان أول من حاول أن يحسن علاقات البطالمة بالرومان . وقد أرسل فى عام ٢٧٣ ق م بعثة سياسة إلى روما ، عقدت معها اتفاقات سياسية وتجارية .

وقد حافظ بطليموس الثالث أيورجينيس (المصلح) الذى تولى الحكم بين الأعوام ٢٤٦ و ٢٢١ ق م ، على سياسة سلفيه ، فى مد نفوذ البطالمة فى شرقى البحر الأبيض المتوسط . حتى لقب بفاتح العالم . وبلغت امبراطورية البطالمة فى عهده أقصى اتساعها ، وتخطت جيوشها نهري دجلة والفرات . وكادت تصل إلى حدود الهند . وعندما توفي ملك

السليوكيين ، أنتيوخوس الثاني ، فرض بطليموس الثالث ارادته على مملكته . وجعل ابن شقيقته برينيكى (التى كانت قد تزوجت انتيوخوس الثاني) ملكاً على السليوكيين، بدلاً من أبناء زوجته الأولى.

التدخل الروماني فى شئون البطالمة

آذن تولي بطليموس الرابع فيلوباتر العرش فى عام ٢٢١ ق م ، بنهاية العصر الذهبي للبطالمة الأغريق فى مصر . فقد أطلق بطليموس الرابع العنان لشهواته . وعكس خطة أسلافه الثلاثة الأوائل فى ترك المصريين أحراراً فى عباداتهم . وأراد أن يقصرهم جميعاً ، بما فيهم يهود الأسكندرية ، على عبادة الآله دايونيساس . مما أدى إلى قيام اضطرابات كثيرة فى أنحاء البلاد .

وشجعت هذه الأحوال الملك أنتيوخوس الثالث ، ملك السليوكيين السوريين . فعمل على طرد بطالمة مصر من مستعمراتهم السورية . ولكن بطليموس الرابع أخذ يفيق بعد ذلك من غفوته . ولجأ إلى استخدام المصريين جنوداً فى جيشه . ونجح بهم فى الأنتصار على أنتيوخوس فى معركة رفح عام ٢١٧ ق م . ولكن هذا الأنتصار لم يعد سوريا بعد ذلك إلى حظيرة العرش البطلمي . وأضطر بطليموس الرابع إلى أن يترك أكثرها لأنتيوخوس ، حين تحالف هذا ضده ، مع فيليب الخامس المقدوني. كذلك أضطر أنتيوخوس ، بطليموس الرابع ، إلى أن يترك ممتلكاته فى بحر إيجه لفيليب المقدوني أو إلى الرومان .

وقد زاد من خسارة بطليموس الرابع ، أن محاولاته التقرب من الرومانيين ، قد شجعتهم على فرض ارادتهم عليه . وأن الجنود المصريين، الذين أثبتوا نجاحاتهم فى رفح ، قد أحسوا بقوة السلاح بين أيديهم ، فلما عادوا إلى مصر ، حولوا الأضطرابات المتقطعة فيها إلى ثورات مسلحة . وقد أنتشرت هذه الثورات فى أنحاء مصر منذ عام ٢١٦ ق م . وأستمرت مشتعلة فيها حتى عام ١٨٣ ق م .

وقد أعقب بطليموس الرابع على العرش البطلمي منذ عام ٢٠٥ ق م، بطليموس الخامس ابيبفانس . وقد توج فى منف بطقوس مصرية خالصة . وكان صغيراً . فأرسل السينات الروماني فى عام ٢٠٠ ق م وصياً عليه.

وكانت روما قد أنتصرت فى عام ٢٠٢ ق م على قرطجنة ، وأنفردت بالسلطة فى غربي البحر الأبيض المتوسط . وأخذت تمد نفوذها إلى شرقيه. وقد أشتبكت قواتها فى عام ١٩٧ ق م مع قوات فيليب الخامس المقدوني ، وفى عام ١٨٩ ق م مع قوات أنتيوخوس الرابع السوري ، وهزمتها شر هزيمة .

وقد تولى بطليموس السادس فيلومتيور (المحب لأمه) عرش البطالمة فى عام ١٨١ ق م . وشهد عهده استفحال الخلافات بين أعضاء الأسرة الحاكمة البطلمية . مما أعطى لروما مبررات جديدة للتدخل فى شئون مصر. وأطمع السليوكيون السوريون فيها . فأستولى أنتيوخوس الرابع على قبرص . وهاجم حدود مصر مرتين . وبلغ بجيوشه فى المرة الأخيرة أبواب الأسكندرية . ولكن الجيوش الرومانية هبت لملاقاته . وهزمته فى

عام ١٦٨ ق م . وأعادت جيوشه إلى بلادها ، وأجبرته على الجلاء عن جزيرة قبرص .

وطبيعي أن يدفع بطليموس السادس بعد ذلك ثمن انقاذ القواد الرومانيين لمملكته . وكانت الخلافات بينه وبين أخيه الأصغر ، بطليموس السابع نيوس (الجديد) فيلوباتر قد زادت . وقد أخذ فيها اغريق الأسكندرية دوراً فعالاً . وأخذ المصريون دوراً آخر . وقام الأخيرون خلال عامى ١٦٥ و ١٦٤ ق م بثورة كبرى وعنيفة .

وقد أستمر حكم بطليموس السادس حتى عام ١٤٥ ق م . وتبعه بطليموس السابع نيوس فيلوباتر ، بين عامى ١٤٥ و ١٤٤ ق م . ثم بطليموس الثامن ايورجينيس الثاني حتى عام ١١٦ ق م . وفى عهد هذا الملك الأخير ، عين مصري لأول مرة حاكماً على الصعيد .

وكان بطليموس الثامن ضخم الجثة ، بالغ السمنة . وكان يحب الظهور بالملابس الفضفاضة والشفافة ، التى تفضح من ورائها ترهل جسمه ! . وقد لقبه اغريق الأسكندرية بأسم «فيسكون» سخرية به ! .

وقد قام بين فيسكون وبين زوجته ، كليوبطرة الثالثة ، خلافات حادة وعلنية . أيد فيها الأغريق السكندريون كليوبطرة الثالثة ضد زوجها: بطليموس فيسكون . ومال فيها المصريون إلى هذا الأخير . وقد حاول فيسكون أن يعتمد على الرومانيين ، ولكنه فقد خلال محاولاته هذه كامل استقلاله. وتحولت زيارات الساسة والقادة الرومانيين ، الذين تكررت زياراتهم لمصر فى عهده ، إلى تدخل سافر فى حكم البلاد .

الأسرة البطلمية

(٣٠٥ / ٣٠ ق.م)

بطليموس ١ = بيرنيس ١
(٣٠٥ / ٢٨٢ ق.م)

||

بطليموس ٢ فيلادلفوس = أرسينوي ٢
(٢٨٢ / ٢٤٦ ق.م)

||

بطليموس ٣ أيورجيتيس = بيرنيس ٢
(٢٤٦ / ٢٢١ ق.م)

||

بطليموس ٤ فيلوباتر = أرسينوي ٣
(٢٢١ / ٢٠٥ ق.م)

||

بطليموس ٥ إبيفانيس = كليوبطرة ١
(٢٠٥ / ١٨١ ق.م)

||

بطليموس ٦ فيلوميتور = كليوبطرة ٢
(١٨١ / ١٤٥ ق.م)

||

بطليموس ٧ نيوس فيلوباتر
(١٤٥ / ١٤٤ ق.م)

بطليموس ٨ أيورجيتيس ٢ = كليوبطرة ٣
(١٤٥ / ١١٦ ق.م)

|

بطليموس أبيون

||

بطليموس ٩ سوتر ٢ لاتيروس
(١١٦ / ١٠٧ ق.م)
٨٨ ق / ٨ ق.م

بطليموس ١٠ الكسندر ١
(١٠٧ / ٨٨ ق.م)

||

كليوبطرة ٥ تريفينا = بطليموس ١٢ نيوس ديونيسوس ١ أوليتس

بطليموس قبرص (٨٠ / ٥٨ ق.م)

كليوبطرة ٤ بيرنيس = بطليموس ١١ الكسندر ٢

كليوبطرة ٦ تريفينا —

|

كليوبطرة ٧

وقد أورث بطليموس الثامن فيسكون ، برقة لابنه غير الشرعي ، بطليموس أبيون . فتنازل هذا عنها بعد وفاته للرومانيين ، الذين أحتلوها منذ عام ٩٦ ق م . وأنقطعت صلة البطالمة بها منذ هذا التاريخ.

وأعقب بطليموس الثامن فيسكون ، بين الأعوام ١١٦ و ١٠٧ ق م . بطليموس التاسع سوتر الثاني . ولكن بطليموس التاسع أضطر لترك العرش فى عام ١٠٧ ق م لأخيه بطليموس العاشر الكسندر الأول ، بعد أن انحازت روما للأخير . وقيل أن بطليموس العاشر الكسندر الأول ، قد كافأ روما على تأييدها له ، بتنازله لها عن مملكته بعد وفاته ! . ولكن روما لم تعمل بوصيته ، ولم تحتل مصر عند وفاته . وأعادت للعرش ، حتى عام ٨١ ق م ، بطليموس التاسع سوتر الثاني .

وفى هذه الفترة الأخيرة من حكم بطليموس التاسع ، أصبح التدخل الرومانى فى شئون البطالمة واضحاً وسافراً . حتى اذا ما توفي بطليموس التاسع، أختارت روما للعرش ابن أخيه: بطليموس الحادي عشر الكسندر الثانى . وجدير بالذكر أن السياسي الروماني سولا Sulla قد أرغم الملك الجديد على الزواج بزوجة أبيه وأبنة عمه : كليوبطرة الرابعة بيرنيس . ولكن بطليموس الحادى عشر لم يطق زوجته الا أياماً ، ثم قتلها .

وهنا أستخدم الأغريق السكندريون «حقوقهم المقدونية» فى مجازاة هذا الملك القاتل ، الذى لم يكونوا راضين عن اختياره ، فقتلوه . وولوا عليهم فى عام ٨٠ ق م ، بطليموس الثاني عشر نيوس دايو نيساس . الذى أطلق عليه أسم ناثوس ، وأوليتس ، على ما سبق أن ذكرنا .

الرومانيــون يساندون بطليموس أوليتس

كان تاريخ مصر الحضارى يزيد ، حين حكمها البطالمة من الأسكندرية، على ثلاثة آلاف سنة . ومع هذا ، لم يكن للمصريين فى شئون هذا الحكم ثمة رأى . وكان الأمر يرجع أولاً وأخيراً إلى الحاكم البطلمي . وإلى جانبه أحياناً المستوطنون الأغريق، الذين يشاركونه الرأي عن طريق مجالسهم الأربعة ، فى المدن الأغريقية التى حددناها .

ولكن الأمور أخذت تنتقل ، منذ ولاية بطليموس الخامس إيبيفانس ، إلى أيدى الرومانيين. وشهدت كليوبطرة السابعة (التى نترجم لها) منذ طفولتها، محاولات روما السافرة ، والمتزايدة ، للتدخل فى شئون مصر ، تدهور وتقوض نفوذ وأطراف المملكة البطلمية . وشاهدت بعينيها القائدين الرومانيين كرسوس ويوليوس سيزار Julius Caesar يقضيان على مملكة السليوكيين فى سوريا . ويومبيى Pompei يصفي الدولة اليهودية فى فلسطين .

وكانت عواطف الأغريق فى مصر تعارض كل تحالف مع روما. ويهود الأسكندرية يؤججون الثورة ضد الرومانيين. وقيل أن اعتداد الأغريق السكندريين بأنفسهم، وكبرياؤهم المعروف ، قد حجب عن عيونهم واقع

الأمور. فلم يعودوا يرون اعتمادهم الكامل والمتزايد ، فى استمرار حكمهم لمصر ، على الرومانيين .

وأما بطليموس أوليتس ، فقد فطن إلى هذه الحقيقة منذ بداية حياته. وتفتحت عينا ابنته كليوبطرة على محاولاته الدائبة ، فى تثبيت علاقاته بالرومانيين . وتوطيد أواصر صداقاته بهم . وقيل أن كليوبطرة قد وعت هذه الحقيقة تمام الوعى . وأن أساليبها فى المداهنة ، والخداع ، والعناد ، والقسوة ، فى سبيل تحقيق أغراضها ، قد فاقت أساليب والدها . وأنها قد حاولت أن تضيف إلى واقعيته المجردة ، أحلامها الخيالية الواسعة : فى إقامة تحالف ثابت الأركان بينها وبين الرومانيين . لأقامة امبراطورية واسعة ، تعادل بل وتفوق ، امبراطورية الأسكندر الاكبر القديمة .

* * *

وكانت الأضطرابات قد قامت فى أنحاء مصر بين الأعوام ٧٩ و ٧٨ ثم ٦٤ و ٦٣ ق م . فى الوقت الذى زاد فيه ضغط الساسة والقواد الرومانيين على حلفائهم من البطالمة وغيرهم ، لجمع الأموال والأمتيازات منها . أو ضم هذه الدول صراحة إلى الأمبراطورية الرومانية .

وفى عام ٥٩ ق م ، وجد بطليموس أوليتس نفسه مضطراً إلى الذهاب مع ابنته كليوبطرة ، إلى روما . وقد حاول أن يسترضي ساستها وقادتها بالهدايا والرشاوي . وأنتهى معهم إلى وجوب أن يدفع لهم مبلغاً نقدياً باهظاً ، مقداره ٦٠٠٠ تالنتس . وقد قدر هذا المبلغ بحوالى نصف دخل مصر السنوي فى ذلك الوقت .

ولما لم يكن بطليموس أوليتس ، قد حمل معه فى زيارته هذا المبلغ الكبير ، فقد أضطر إلى اقتراضه من أحد المرابين الرومانيين . وهو جاسيوس بوستيوموس Postumus . على أن يرده له مع فوائده على أقساط بعد عودته إلى مصر . وقد تسلم يوليوس سيزار وبومبيي هذا المبلغ الكبير من بطليموس أوليتس . ثم أعلنا أنه قد أصبح «صديقاً وحليفاً» للشعب الروماني .

ويلاحظ أن روما كانت قد فرضت مبلغاً كبيراً آخراً على بطليموس قبرص . وكان شقيقاً لبطليموس أوليتس . وكان السبب فى هذا هو رغبة ساسة روما فى ممالئة أبناء مدينتهم «بتوزيع القمح عليهم بالمجان» . فلما لم يدفع بطليموس قبرص لهم شيئاً ، أتهمه هؤلاء الساسة «بمساعدة قراصنة البحر الأبيض المتوسط» . ثم أعلنت روما ضم الجزيرة إليها ، بدعوى أن بطليموس العاشر الكسندر الأول كان ، على ما ذكرنا ، قد أوصى لهم بها .

وقد ذهب السياسي الروماني الأشهر : ساتو Cato إلى جزيرة قبرص لتنفيذ أمر روما . وعرض على ملكها أن يترك عرشه ، وأن يصبح كاهناً أعظم لمعبد أفروديت فى ايفوسيس . ولكن بطليموس قبرص رفض هذا العرض . وقتل نفسه . وقد خلف وراءه ثروة كبيرة قدرها المؤرخون بحوالى ٧٠٠٠ تالنتس ، بالإضافة إلى النفائس الكثيرة الأخرى .

وقد حمّل كاتو السفن التى جاء بها بثورة بطليموس قبرص ، وعاد بها ، قرير العين إلى روما .

وأما بطليموس أوليتس ، فقد بادر عند عودته إلى الاسكندرية، بأعلان العفو العام عن المسجونين والعصاة . ثم أنتظر أياماً ، وأعلن عن فرض ضرائبه الجديدة ، التى يستطيع أن يسدد بها دينه الباهظ لبوستيوموس . ولكن الأضطرابات أنفجرت فى كل مكان . وأتهمه إغريق الأسكندرية بالخضوع للرومانيين . وبالتقاعس عن نصرة شقيقه ، بطليموس صقلية .

وقد بلغت هذه الأضطرابات ذروتها فى عام ٥٨ ق م . وأنتهت بطرد إغريق الأسكندرية من مدينتهم لبطليموس أوليتس . فذهب مع ابنته كليوبطرة إلى روما ، كى يستنجد بقواتها ضد شعبه الثائر عليه . وفى هذه الأثناء ولى أغريق الاسكندرية عليهم فى مكانه ابنته الكبرى : كليوبطرة السادسة تريفينا . ثم أضافوا اليها بعد ذلك شقيقتها بيرنيس الرابعة .

وقد نزل بطليموس أوليتس وابنته كليوبطرة ، عند وصولهما إلى روما ، فى ضيافة بومبيي ، فى قصره العظيم إلى جوار العاصمة . وذهب بوستيوموس إلى بطليموس أوليتس فى قصر بومبيي ، وطاليه بأمواله . ولكن بطليموس أوليتس أفهمه أن عليه أن يساعده على استعادة عرشه ، إذا ما أراد أن يرى تلك الأموال.فذهب بوستيوموس إلى يوليوس سيزار وبومبيي ، وغيرهما من الساسة والقواد الرومانيين ، يستنجد بهم . ويستعجلهم مساعدة «صديق وحليف روما» .

وقد جاء إلى روما خلال نزول بطليموس أوليتس وكليوبطرة بها ، وفد

من أغريق الأسكندرية . وكان يتألف من ١٠٠ عضو . وعلى رأسه الفيلسوف الأغريقي ديوه Dio . وقد حاول أعضاؤه أن يوضحوا للرومانيين أسباب الثورة التى قامت فى أنحاء مصر . وطرد بسببها بطليموس أوليتس عن العرش . واختيارهم لأبنتيه ملكتين على البلاد . . .

ولكن بطليموس أوليتس كان يوزع الهدايا والرشاوي والوعود يميناً ويساراً . بل ونجح فى قتل عدد غير قليل من أعضاء الوفد الأغريقي الذى جاء إلى روما. كان أولهم ديوه ! . وانحاز اليه تماماً ، لسبب أو لآخر ، جميع الساسة والقواد الرومانيين .

وفى العام التالى ، ٥٧ ق م ، وبعد أن اطمأن أوليتس إلى سير الأمور فى روما ، تركها إلى معبد أرتيمس فى إيفسوس . مخلفاً وراءه أحد تابعيه : المسمى هامونياس ، لمتابعة قضاياه .

وقد أنتهى هامونياس إلى الأتفاق مع القائد الروماني فى سوريا : حابينيوس Gabinius على أن يسير لمصر ، وأن يعيد بطليموس أوليتس إلى عرشه فى الاسكندرية بالقوة . على أن يدفع له بطليموس أوليتس كل ما قد يتحمله جابينيوس فى هذا العمل من نفقات .

وقد دخل جيش جابينيوس الأسكندرية فى عام ٥٥ ق م . وكان على رأس فرسانه مارك أنطوني . وعاد بطليموس أوليتس إلى عرشه ، ودفع لجابينيوس نفقاته : ١٠٠٠٠ تالتنس أخرى .

ولايـة كليوبطـرة عرش مصـر

كانت كليوبطرة السادسة تريفينا قد توفيت خلال غياب أبيها بطليموس أوليتس ، وشقيقتها كليوبطرة السابعة ، فى روما . وأنفردت شقيقتها بيرنيس الرابعة بالحكم فى الأسكندرية . وكان الاغريق فيها قد أخذوا يطالبونها بالزواج . وقد تزوجت فى عام ٥٧ ق م بأحد الأمراء السليوكيين . ولكنها لم تمكث معه غير ثلاث ليال ، ثم قتلته . وتزوجت من بعده بأحد الأغريق من أبناء بونتاس : المسمى أرشيلاوس .

وقد أيد إغريق الأسكندرية حكم بيرنيس وأرشيلاوس . ولكن المصريين أستمروا فى مناهضتهم للحكم البطلمي ، وأغرقوا البلاد فى الأضطرابات .

وعندما دخل جيش جابينيوس الأسكندرية فى عام ٥٥ ق م ، قتل قائده أرشيلاوس ، وأسر بيرنيس الرابعة . ثم سلمها لوالدها ، بطليموس أوليتس ، عندما دخل هذا الأسكندرية مع ابنته كليوبطرة . وقد أمر بطليموس أوليتس بقتل ابنته بيرنيس .

ويقال أن بطليموس أوليتس قد عين مقرضه ، بوستيوموس ، الذى دخل معه الأسكندرية عند اعادة فتحها ، فى رئاسة الوزارة . ومهما

كانت حقيقة المنصب الذى تولاه بوستيموس ، فقد كان منصباً كبيراً فى البلاد ، أتاح له أن يجمع الأموال والنفائس منها . وفى العام التالي ، ٥٤ ق م ، أستقدم بوستيوموس عدداً من السفن ، وحملها بكل ما أستطاع جمعه من أموال ونفائس . ولكن اغريق الأسكندرية ثاروا عليه ، وتهددوه بالقتل ، فأضطر إلى مغادرة المدينة على آخر السفن التى حملت ما أستطاع جمعه منها .

ويلاحظ أنه عند عودة جابينيوس وبوستيوموس إلى روما ، أن السينات الروماني قد أتهمهما بالأنحراف . وقد دافع عنهما فى المحاكمة الخطيب الروماني شيشرون Ciceron . قيل لقاء أجر باهظ . وقد نفي جابينيوس من روما . وبرئت ساحة بوستيوموس .

وكان جابينيوس قد خلف وراءه فى الأسكندرية ، جيشه «الجابيني» لحماية بطليموس أوليتس . وقد ضم هذا الجيش الكبير جنوداً من مختلف أقطار العالم ، التى كان جابينيوس قد حارب فيها . وقد أستخدم بطليموس أوليتس كل ما ملكه من صبر ودهاء ، فى محاولة ارضاء وتهذيب هذا الجيش ، واستخدامه فى تحقيق أغراضه .

وكان بطليموس أوليتس قد وضع وصيته بعد عودته إلى الأسكندرية. وأودع نسخة منها لدى بومبيي فى روما . وقد أستحلف المواطنين الرومانيين على «أن يبذلوا كل جهودهم فى تنفيذها» . وقد أوصى بطليموس أوليتس فى وصيته ، بأن يذهب عرش البطالمة من بعده إلى ابنته كليوبطرة وابنه الأصغر بطليموس الثالث عشر .

فلما توفى بطليموس أوليتس ، فى حوالي مايو عام ٥١ ق م ، خلفته كليوبطرة وشقيقها بطليموس الثالث عشر على العرش . وقد تزوجا . وكانت كليوبطرة فى الثامنة عشرة من عمرها ، وبطليموس الثالث عشر فى الثالثة عشرة . ولقب الأثنان بالمحبان لوالدهما ، وبالمحب لأخيه / ولأخته .

ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى تتولى فيها كليوبطرة حكم مصر . فقد قيل أنها قد تولت الحكم مع والدها شهوراً ، قبيل وفاته فى عام ٥١ ق م .

ويلاحظ أن كليوبطرة قد أستأثرت بالحكم منذ البداية ، من دون أخيها . فوضعت صورتها ، ونقوشها ، منفردة فوق التماثيل والنقود . رغم أن التقاليد كانت تحتم وضع صورة شقيقها ، أو الأوصياء عليه ، فى المقدمة . ولكنها لم تراع شيئاً من هذا . واستطاعت بحكمتها وحزمها، وبما سبق أن أكتسبته من معرفة وخبرة ، أن تزيح شقيقها تدريجياً عن الأضواء .

ويقال أن الظروف قد حابت كليوبطرة فى ذلك الوقت برئيس وزراء حكيم ومتمرس ، هو بروتارخوس . وأنهما قد أستطاعا فى أول أزمة واجهتهما مع الجنود الجابيين ، أن يكبحوا جماحهم ، وأن يحتفظوا بثقة الرومانيين بهم .

فان القائد الروماني فى سوريا ، ماركوس بيبلوس ، كان قد أرسل إبنيه إلى الأسكندرية كى يختارا له بعض الجنود الجابيين لتعزيز قواته

أمام البارثينيين . وكان البارثينيون قد نجحوا ، فى عام ٥٣ ق م ، فى هزيمة القائد الروماني زوسا فى سوريا ، وقد قتلوا القائد الروماني القدير كراسوس ، وأحتلوا أكثر أنحاء سوريا وآسيا الصغرى . ولكن الجنود الرومانيين ، بقيادة ماركوس بيبليوس ، أستطاعوا بعد ذلك أن يستعيدوا تلك المناطق . وأرسل ماركوس بيبليوس إبنيه إلى مصر ، كى يحضرا له امدادات من جنودها ، لتعزيز قواته هناك .

ولكن الجنود الجابيين فى الأسكندرية قتلوا ابني ماركوس بيبليوس . ورفضوا أن يذهب أحد منهم إلى سوريا . وقد أستطاعت كليوبطرة ، بفضل وزيرها بروتارخوس ، أن تقبض على قتلة ابني ماركوس بيبليوس، وأن ترسلهم اليه فى سوريا ، كى يفعل بهم ما يشاء .

* * *

وكانت الأسكندرية ، عند إرتقاء كليوبطرة عرش مصر ، فى عام ٥١ ق م ، أعظم وأجمل مدن حوض البحر الأبيض المتوسط والعالم القديم . فإن قرطاجنة كانت قد ذهبت . والدويلات اليونانية قد ضعفت . وروما لم تتم قيامها بعد . ولم تكن هناك مدينة أخرى تنافس الأسكندرية حضارتها ، وعظمتها ، وجمالها ، وصناعاتها ، وتجاراتها .

فقد كان بالأسكندرية مدرسة فلسفية وتاريخية هامة ، يتزعمها الفيلسوف فيلوستراتوس Philostratus والمؤرخ نيكولا الدمشقي Nicolaus of Damascus . وكان فيها مدرسة طبية متقدمة ، شهد لها جالينوس ، وتميزت بالخبرة فى السموم ، كما سيجيء .

وكانت الأسكندرية تحتكر عدة صناعات ، ورثتها عن المصريين القدماء ، منها صناعات الروائح ، والدهانات ، والأصباغ ، والورق «البابيروس» . وقد أخترعت نفخ الزجاج . وأخترعت أحدث أنوال العالم القديم فى ذلك الوقت ، وهو النول الرأسي . وقد ازدهر بها على وجه الخصوص غزل الصوف . وكان يتم فى مغزل «بطلمي» كبير يقوم على ادارته سناتور روماني ، كان أسمه فى عهد كليوبطرة : كونتياس أوفيناس .

وكان قد قام بها ، على ما سبق أن ذكرنا ، الشوارع والمباني والقصور والمعابد . وكان فيها المتحف ، والفنار ، وقبر الأسكندر ، ومعبد السرابيوم .

وكانت مصر أكبر مزرعة للقمح يتغذى بها العالم القديم . وكان ما يرسل منها إلى روما فى كل عام ، يطعم سكانها طوال أربعة شهور .

وكان البطالمة يحتكرون أكثر أنواع التجارة . وقد أقاموا فى الأسكندرية «بنوكاً عامة» تقرض الأموال للصناع والتجار والزراع ، بفوائد محددة لا تتجاوز ٢٥ بالمائة من قيمة القرض . وكان على أبواب الأسكندرية جمارك تفرض الرسوم على الدهون والزيوت المستوردة (٥٠ بالمائة) وعلى أنواع النبيذ والتين (الثلث) . ويمر عن طريقها الورق والصوف والملح ، إلى أسواق البحر الأبيض المتوسط .

وكان الملوك البطالمة يمتلكون جميع أراضي مصر الزراعية ، الا ما خصص منها للمعابد . ويحتكرون أهم صناعات الأصباغ ، والدهانات،

والورق ، والغزل ، والمعاصر . وكانت قصورهم تزخر باللآلى ، والجواهر ، والتماثيل الذهبية . وقد قيل أن كليوبطرة كانت تذيب اللآلئ فى النبيذ قبل أن تشربه . ولكن هذا غير صحيح. لأن النبيذ لا يذيب اللآلئ.

وقد قص بلوتارخ قصة زيارة أحد أصدقاء عمه فيلوتاس ، إلى مطبخ قصر كليوبطرة . فذكر أن هذا الصديق قد أبدى دهشته للطباخ ، من كثرة الطعام الذى يعده للعشاء . وكان من بينه ثمانية خنازير مشوية . فضحك الطباخ وقال أن ما يعده وجبة عادية جداً . لأن عدد المدعوين إلى الطعام هو اثنى عشر فرداً فقط . بينما عددهم قد يجاوز أحياناً المئات .

وذكر له الطباخ أن عليه أن يتعهد كل كبيرة وصغيرة فى المأدبة . لأن أى هفوة صغيرة ، وحتى تأخير دخول أحد الأطباق ، قد يفسدها . «مع أننا نجهل على الدوام ميعاد بدء الوليمة . لأن كليوبطرة قد تدعو مدعويها إلى العشاء مباشرة ، أو تحادثهم وقتاً يطول أو يقصر ، أو تأمر بتقديم الشراب لهم قبل بدايتها . ونحن لا نستطيع أن نحتفظ بأطباقنا ، بعد طهيها ، ساخنة . ولهذا لابد لنا من أعداد سلسلة من الأطباق المتوالية ، من دون أن تدري أى أطباق منها سيظهر على المائدة .

وكان الملوك البطالمة قد شقوا من نهر النيل إلى البحر الأحمر قنوات ، لتسهيل الملاحة والتجارة ، بين حوضي البحرين الأبيض المتوسط والأحمر. وكانت التجارة مع السودان وأثيوبيا منتظمة . ولكن البطالمة عملوا على مدها إلى الأقطار الأخرى ، وحتى سواحل الهند . وقد أستخدم بطليموس الثامن رحالة إغريقي ، هو إيودوكساس كيزيكس ،

لأستكشاف الطريق البحري حتى القارة الهندية . وكانت مهمة حماية هذه الطريق البحرية ، من أولى المهام التي يقوم بها حاكم الصعيد . عن طريق الدوزيات البحرية التي تخرج من موانى مصر فى البحر الأحمر .

وكان الملوك البطالمة قد طوروا أنظمة حكم الفراعنة ، فأخذوا عنهم « أفضل بيروقراطية حكومية » فى العالم القديم . وكان موظفو الحكومة البطلمية هم الوحيدون فى العالم القديم الذين كانوا يقبضون مرتبات ثابتة من حكومتهم . وحتى روما ، لم تكن قد فعلت ذلك بعد .

وكان يتولى الحكم فى أنحاء مصر ، ثلاثة حكام . هم حكام الصعيد ، ووسط مصر والفيوم ، والدتا . وكان يعاون كل حاكم من هؤلاء الحكام الثلاثة ، موظفون ورجال ري وشرطة الخ . يتعهدون أمور الري والأمن والضرائب وغيرها . برصد البيانات والأرقام ، التي يحررونها على أوراق البابيروس التى بحوذتهم . ولم يكن مسموحاً للفلاح المصري أن يترك أرضه خلال السنة الزراعية ، أي حتى يجمع محصول الأرض ، ويسدد ما عليه من إيجارات وضرائب . وكان بطليموس ايليتس قد أبتكر شيئاً جديداً . فأن النقود فى زمانه كانت من الفضة . وكانت القطعة الواحدة من العملة ، تحتوى من هذه المادة على ما يوازي قيمتها . ولكنه خفض ما تحتويه عملاته من الفضة إلى نحو ثلث ما تساويه . وجاءت كليوبطرة، وخفضت ما تحويه من الفضة ، إلى نحو ربع ما تساويه . أى بدلاً من أن تضع ما يوازي ١٠ تالنتات من الفضة ، فى قطعة العملة المكتوب عليها هذا القدر ، وضعا ثلث وربع هذه القيمة فقط . وكتبا

على قطعة العملة ١٠ تالنتات . وأدخلا الفرق فى خزائنهما . وهذه هى البداية الصحيحة للعملة الحديثة ، معدنية ثم ورقية .

ويلاحظ أن المصريين قد أستمروا على الدوام ، طبقة غريبة ، وكسيرة الجناح ، فى هذه المملكة البطلمية المزدهرة . وأنه بالاضافة إلى ثوارت المصريين المتكررة ضد الغاصبين الأغريق ، فقد ظلوا يمنون أنفسهم بأحلام ونبوءات وأساطير ، منها نبؤة «الخازف» المعروفة ، والتى تتنبأ بأن ملكاً «مصرياً صميماً» سوف يظهر فى يوم قريب ، ويطرد الأجانب الغاصبين عن البلاد . وقد عرف البطالمة قدر الخطر من هذه النبوءات . وحاربوها بكل قوة وقسوة . وجعلوا الموت مصير من يضبط بكتابتها أو ترويجها .

وجدير بالذكر أن هيرودوت Herodotus قد ذكر ، أن المصريين قد أعتبروا الأغريق «شعباً غير نظيف» . وقد لاحظ المؤرخون أنه بعد وفاة كليوبطرة ، ودخول الرومان مصر ، رفع كهنة آمون على معابدهم لافتات تطلب إلى غير المصريين ألا يدخلوها . وكانوا يقصدون بذلك إغريق مصر! . ويلاحظ أيضاً ، أن كهنة آمون بالذات كانوا يعبرون ، أكثر من غيرهم من الكهنة الآخرون عن روح الوطنية المصرية . وقد قاوموا حكم البطالمة . وقاوموا بعد ذلك حكم الرومان .

الخلاف بين كليوبطرة وشقيقها

لاحظ المؤرخون ، أنه عند بداية عام ٥٠ ق م ، ظهرت خلافات علنية بين كليوبطرة وشقيقها بطليموس الثالث عشر . وقد سبق أن ذكرنا أن كليوبطرة لم تكن محبوبة عند مواطنيها من أغريق الاسكندرية . لألتصاقها السابق بأبيها ، بطليموس أوليتس . ولميلها المعروف للتعاون مع الرومانيين .

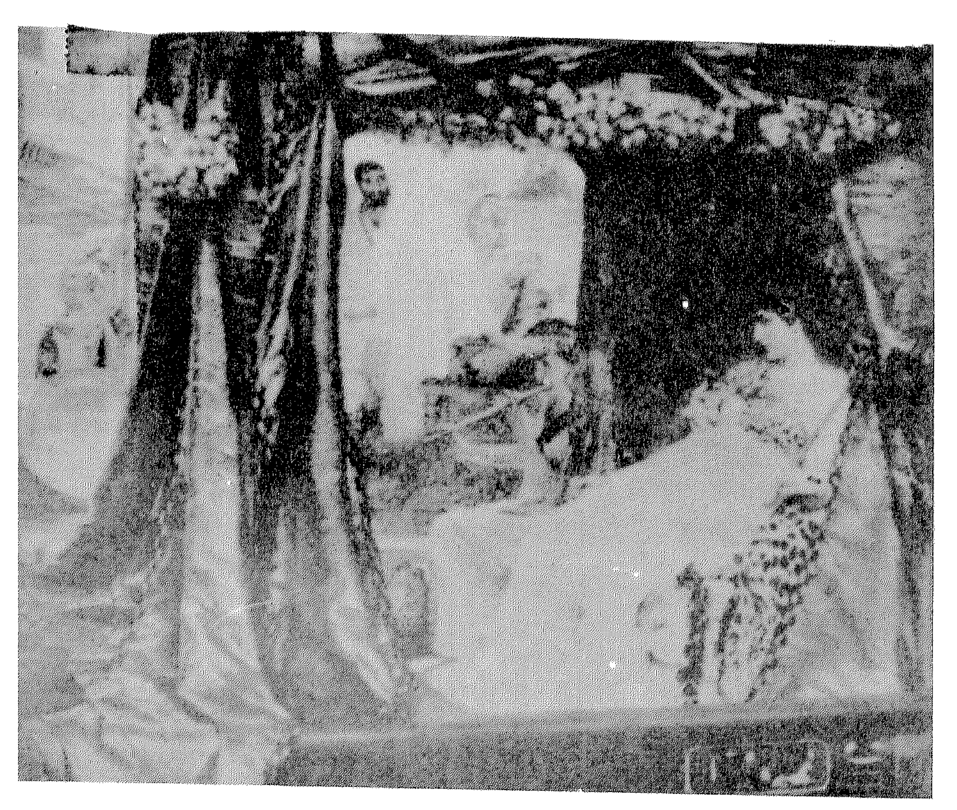
وقد أختفت كليوبطرة بعد ذلك بشهور من الأسكندرية . وظهرت فى صعيد مصر . وعثر على «أوامر بطلمية» إلى حكام الأقاليم ، تطلب اليهم عدم ارسال قمح البلاد إلى الصعيد ، وتوجيهه كله إلى الأسكندرية. حيث أستمر شقيقها والأوصياء عليه يحكمون البلاد .

وقد أستمرت هذه الخلافات بين كليوبطرة وشقيقها طوال عام ٥٠ ق م، ثم حرمت كليوبطرة من العرش حرماناً رسمياً فيما بين يونيه وسبتمبر عام ٤٩ ق م . وذهبت كليوبطرة فى العام التالى ، ٤٩ ق م ، إلى حدود مصر الشرقية . وقد وجدت صورتها على بعض النقود الفلسطينية هناك بين الأعوام ٤٩ و ٤٧ ق م .

وكان هذا من حسن طالع كليوبطرة ..



لقاء أنطوني وكليوبطرة لتبولي



كليوبطرة على عرشها ١



أوكتافيوس



عملة فضية سورية عام ٣٤ ق م
على أحد وجهيها كليوبطرة والوجه الآخر أنطونى

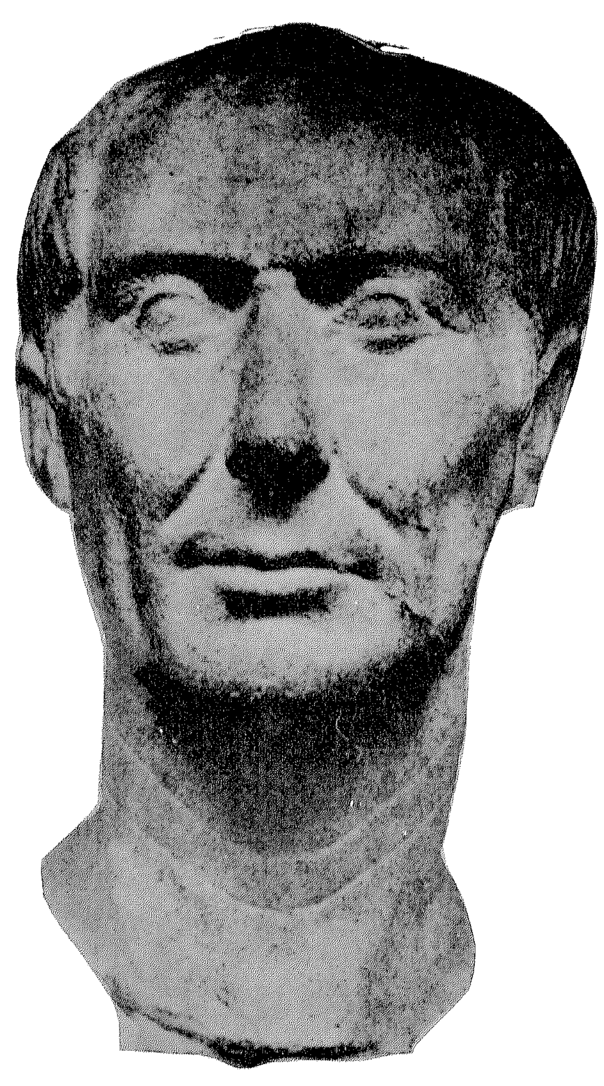




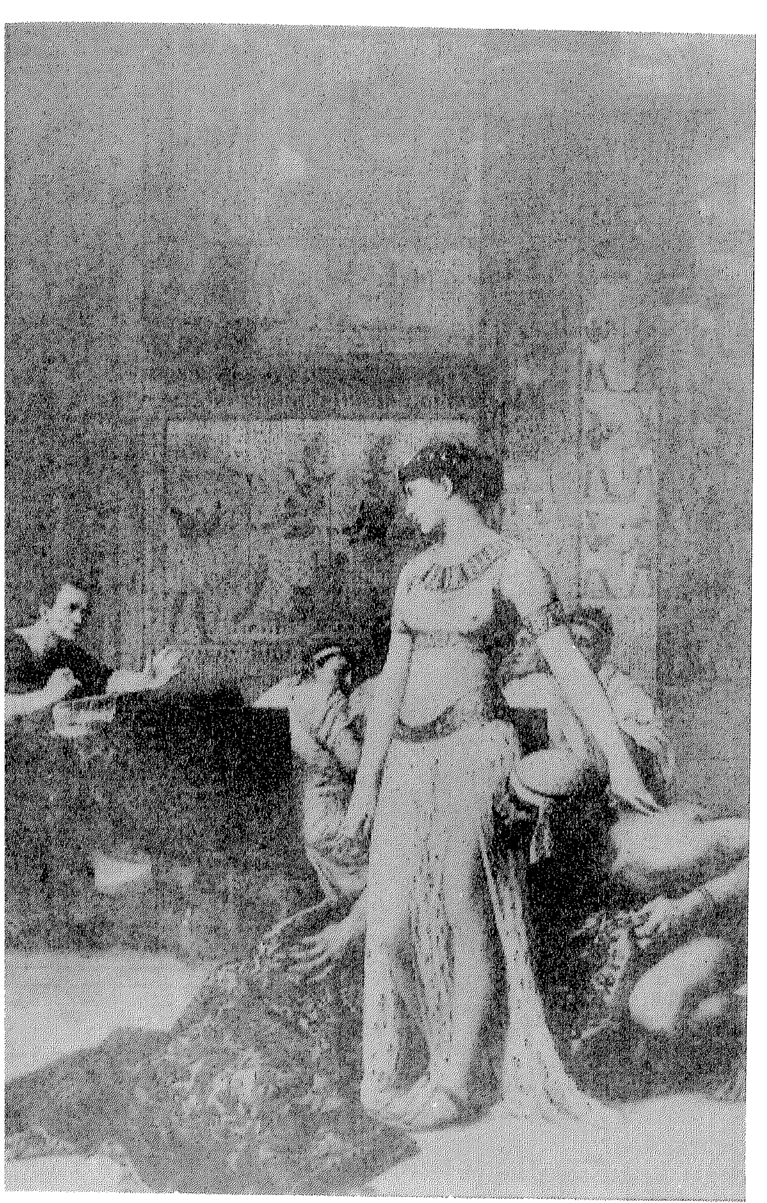
وجه كليوبطرة على عملة سكندرية وعمرها ٢٣ عاماً



تمثال بطليموس أوليتس



تمثال لرأس يوليوس سيزار



كليوبطرة للفنان چيروم

ففى بداية عام ٥٠ ق م ، ظهر الخلاف بين بومبيي ، الذى كان يحظى بتأييد الرومانيين ، وبين القائد الروماني الذى فتح أكثر أنحاء أوروبا فى ذلك الوقت : يوليوس سيزار .

وفى العام التالى ، ٤٩ ق م ، تحول هذا الخلاف إلى حرب أهلية طاحنة بينهما . انتصر فى نهايتها سيزار على بومبيي . وطرده مع فلول قواته من ايطاليا . فلجأوا إلى دول بلقانية مختلفة ، ثم إلى اليونان .

وقد أرسل بومبيي ، فى مارس عام ٤٩ ق م ، أبنه إلى الاسكندرية ، يطلب مساعدتها له ضد غريمه . ولم تكن كليوبطرة بالاسكندرية ، على ما أشرنا ، وإنما بالصعيد ، فأستقبله الأوصياء على شقيقها بحفاوة ظاهرة ، ووافقوا على تقديم عونهم له . وقد أرسلوا له ٦٠ سفينة حربية ، و ٥٠٠ من الجنود الجابيين ، وأمدادات كثيرة أخرى .

ويلاحظ أن بومبيي كان هو الطرف الأقوى ، فى بداية خلافه مع يوليوس سيزار . فإلى جانب تأييد روما له ، وقف إلى جانبه سينات هذه المدينة كاملاً . وعندما ترك بومبيي وجنوده ايطاليا إلى البلقان ، وذهبوا إلى اليونان ، توجه أهم أعضاء السينات الرومان إلى سالونيكا ، وأعلنوا تأييدهم له . وقدموا الشكر لمصر على معاونتها له ، ثم عينوا بومبيي وصياً على بطليموس الثالث عشر ! .

ولكن يوليوس سيزار أحتل بعد ذلك أنحاء ايطاليا ، ثم أسبانيا ، وتبع بومبيي وجنوده فى أقطار البلقان . وأنتصر عليهم فيها فى معركة فارسالوس فى أغسطس عام ٤٨ ق م . حتى لم يجد بومبيى وفلول

قواته أمامهم الا الهرب إلى الأسكندرية .

وكان بومبيي قد قدر أن بطليموس الثالث عشر ، الذى سبق أن قدم له مساعداته من الجنود والأموال والعتاد ، سيقف إلى جانبه حتى النهاية. وأنه سيستطيع بمساعداته أن يؤلف جيشاً جديداً ، ويحارب به يوليوس سيزار ، وينتصر عليه .

ولكن مصر كانت قد شهدت ، خلال صيف ذلك العام ، فيضاناً مدمراً. وقد فسدت الزراعة فيها . وعانت البلاد من القحط . كما أن أوصياء بطليموس الثالث عشر ، وعلى رأسهم رئيس وزرائه بوتيناس ، كان قد تأكد لهم أن الأمور قد تحولت من أيدي بومبيي إلى أيدي يوليوس سيزار . ولم يعد من الضروري ، أو حتى من الحكمة ، مساعدة الأول على الثانى .

وعندما قاربت سفن بومبيي الأسكندرية ، خرج لملاقاتها ، وهى بعد فى عرض البحر ، قارب وحيد . ولم يكن يحمل الا بعض الضباط والجنود البطالمة . وقد رحب كبيرهم ، سيبتمياس ، ببومبيي . ودعاه إلى مرافقتهم إلى الميناء . فنزل بومبيي وأربعة من معاونيه فى القارب . واتجه القارب بهم إلى ميناء الأسكندرية .

ولكن سيبتمياس ، سرعان ما أخرج خنجره ، وطعن به بومبيي طعنة قاتلة فى بطنه . وهاجم بقية الجنود البطالمة معاوني بومبيي وقتلوهم ، وألقوا بجثثهم إلى البحر .

وفى هذه الأثناء ، كانت السفن البطلمية الراسية فى الاسكندرية ،

قد أخذت تهاجم سفن بومبيي بسهامها . وقد ألجأتها إلى الفرار إلى عرض البحر .

* * *

وقد وصل يوليوس سيزار إلى الأسكندرية بعد أربعة أيام من مقتل بومبيي فى مياهها ، وفرار أسطوله منها . وكان مع يوليوس سيزار ٣٢٠٠ جندى و ٨٠٠ فارس وخيولهم ، تحملهم جميعاً ١٠ سفن رومانية ضخمة . وقد أستقبلتهم على مدخل الميناء بعثة بطلمية ، على رأسها معلم بطليموس الثالث عشر : ثيودوتاس .

وقد حاول ثيودوتاس أن يثني يوليوس سيزار عن دخول الأسكندرية . وأن ينصحه بضرورة متابعة سفن وجنود بومبيي الضاربة فى البحر . ولكن يوليوس سيزار كان يحتاج إلى الراحة ، هو ومن معه . وإلى المؤن والأموال ، التى تمكنهم من مواصلة الحرب ضد أعدائهم .

ويلاحظ أن يوليوس سيزار كان قد دخل مدينة الأسكندرية ، ومن حوله مستشاروه وأتباعه ، كقنصل روماني . وقد أثار عليهم هذا ثائرة الأغريق السكندريين ، الذين وجدوا فى هذا التصرف مساساً بأستقلال البطالمة السكندريين عن الأمبراطورية الرومانية . وقد تصدوا لموكبه فى شوارع الأسكندرية ، وصاحوا فيه . وطالبوه بالعودة إلى بلاده . ثم أعتدوا ، فى الأضطرابات التالية بالمدينة ، على كثير من جنوده ، وقتلوا بعضهم .

وطبيعي ألا يرتاح يوليوس سيزار لهذا الاستقبال الذى قابله به أغريق

الأسكندرية ، وأن يتذكر أن المدينة قد قدمت السفن والعتاد والمؤن والأموال لعدوه بومبيي ، قبل أن تغدر به ، عندما تبين لها خطأها فى مساعدته . وأن يتذكر أيضاً أن بطليموس أوليتس كان مديناً للمرابي الروماني بوستيوماس بقدر كبير من الأموال . وأن بوستيوماس كان قد أوكل إلى يوليوس سيزار استرجاعه منه . وصحيح أن بطليموس أوليتس قد مات ، ولكن خلفاؤه أصبحوا مسئولين أمامه عن هذا الدين . يضاف إلى هذا ، أن بطليموس أوليتس قد أستخلف الرومانيين على تنفيذ وصيته ، فى ضرورة أن تخلفه ابنته كليوبطرة وابنه بطليموس الثالث عشر على العرش . ولكن أين هى كليوبطرة ؟. بل أين هو بطليموس الثالث عشر ؟!.

***

وكانت كليوبطرة ، وشقيقها بطليموس الثالث عشر ، ومع كل منهما جيشه ، يتقاتلان على حدود مصر الشرقية . وقد أرسل يوليوس سيزار اليهما كى يحضرا اليه فى الأسكندرية . وحضر اليه بعد أيام من دعوته بطليموس الثالث . وأخذ يوليوس سيزار يبحث معه كافة المواضيع السياسية والعسكرية والأقتصادية الخاصة بمصر . ويتساءل عن أسباب خصومته ، وقتاله ، لشقيقته الكبرى كليوبطرة .

ولم يعجب هذا التدخل فى شئون البطالمة وزير بطليموس الثالث عشر بوتيناس . وكان خصياً إغريقياً ، يكره الرومان . ويعتبرهم ، مع غيره من المثقفين الأغريق «برابرة» . وقد أخذ بوتيناس يجادل يوليوس سيزار

فى أسباب بقائه بالأسكندرية . ويعارض محاولاته جمع العتاد والمؤن والمال منها .

وقيل أن الوزير بوتيناس قد أمر بأن يقدم الطعام ليوليوس سيزار وأصحابه فى أطباق مكسورة ، عله يفهم سوء حالة البلاد ! . وبأن يقدم لجنوده أسوأ الحبوب والأطعمة ، علهم يتعجلون تركها ! .

ويقال أن بوتيناس قد حاول فى نهاية الأمر أن يغتال بنفسه يوليوس سيزار ، وأنه لم يوفق فى محاولته . وأن يوليوس سيزار قد أمر - بعد ذلك - بقتله .

* * *

وأما كليوبطرة ، فانها عندما سمعت بوصول يوليوس سيزار إلى الأسكندرية ، ثم تلقت دعوته بالحضور إليها ، أرسلت له خطاباً طويلاً ترحب به . وتشرح له فيه قضيتها ضد أخيها . وقد حاولت أن تذهب اليه فى الأسكندرية . ولكن جيش أخيها ، بطليموس الثالث عشر ، كان يقف بينها وبين المدينة .

وقيل أن كليوبطرة قد أستقلت مركباً صغيراً حتى مياه الأسكندرية . ثم تسللت فى قارب أصغر إلى داخل الميناء . وأنها قد رشت بعض ضباط وجنود شقيقها ، كى يسمحوا لها بدخول المدينة .

وقيل أيضاً أن أحد تجار السجاد القبارصة قد أخفاها وسط سجادة كبيرة ، دخل بها القصر لعرضها على يوليوس سيزار . وأنه ما أن وضع لسجادة على الأرض ، وأخذ فى نشرها أمامه ، حتى خرجت منها

كليوبطرة وهى فى أنضر شبابها ، وأروع زينتها ! .

ولم تكن كليوبطرة جميلة ! . فان فمها كان واسعاً ! . وأنفها كان مقوساً وطويلاً ! . وقد وصف بلوتارخ جمالها بأنه ...

« لم يكن جمالها من هذا النوع غير العادي الذى يأسر الانسان لأول وهلة . ولكن سحرها كان قوياً . ولم يكن أحد يستطيع أن يقاوم قوة شخصيتها . فان وجودها وحديثها كانا طاغيين . وكل كلمة كانت تنطق بها ، وكل حركة تأتيها ، كانت تريد بها شد اعجاب من يخاطبها، وايقاعه تحت سيطرتها » .

وقد قرأ شكسبير وصف بلوتارخ لكيلوبطرة ، وحاول أن يعبر عن صورتها ، ليس بالجمال ، وانما بما أسماه «قوة حيويتها» و «نبل حياتها» .

والمعروف أن كليوبطرة كانت من أوائل السيدات فى التاريخ اللاتي لبسن باروكات الشعر . وأحكمن حركته بقوس من الحديد .

ويقال أنها كانت تكثر ، كالمصريين عامة وقتها ، من وضع المساحيق والزينات . وكانت تدهن رموش عينيها بالانتيمون والملاخيت بقضيب رفيع. وكانت تضع الأوكر الأحمر على شفاهها بفرشاة . وتحلي أظافر يديها بهذا اللون أيضاً . وكانت تزين يديها وقدميها بالحنا . وتدعك جلدها بالرصاص لإظهار بياضه ، وبالنباتات وعصاراتها لاكسابها الحيوية ! .

وكانت كليوبطرة موفورة الشباب والنضج ، فى الواحدة والعشرين من

عمرها ، عندما قابلت يوليوس سيزار فى الاسكندرية . وقد أصبح فى يده مصيرها ، وقضية عرشها ، ومستقبل مملكتها . فى الوقت الذى أهتز فيه مركزها وتضعضعت قوى البطالمة فى مصر وتهددت مملكتهم بالزوال. وكان يوليوس سيزار فى الثانية والخمسين من عمره . وقد تخطى سنوات الشباب . وكان متزوجاً من زوجته الرومانية كالبورنيا Calpurnia التى أنجبت له ابنته الوحيدة : جوليا Gulia . ولكن هذا الزواج لم يكن يمنع القائد الرومانى الكبير ، من الدخول فى تجارب أخرى غرامية مع عدد من النساء الجميلات اللاتى صادفهم فى حياته .

طلاق كليوبطرة وبطليموس الثالث عشر

لم تمض ساعات على لقاء كليوبطرة ويوليوس سيزار ، حتى كان الأعجاب قد تبادل ،و التفاهم بينهما قد أكتمل ، والعلاقات قد بدأت تتوثق . وخرج بطليموس الثالث عشر من قصره إلى شوارع الأسكندرية ، وهو يصرخ : لقد خانوني ! . وأخذ يطالب أعوانه بالثورة والأنتقام ! .

وذهب وزير بطليموس الثالث عشر ، بوتيناس (قبل قتله) لتحذير أغريق الأسكندرية ، من أن يوليوس سيزار سوف يجعل من كليوبطرة ملكة وحيدة على عرش مصر .

وتجمع الأغريق السكندريون مع أفراد الجيش البطلمي ، حول أبواب القصر الذى نزل فيه يوليوس سيزار . وحاولوا اقتحامه . ولكن جنود يوليوس سيزار ردوهم على أعقابهم . وظفروا ببطليموس الثالث عشر ، وأدخلوه عنوة إلى القصر ، وأغلقوا بواباته الكبيرة .

وقد حاول يوليوس سيزار أن يطمئن بطليموس الثالث عشر وأعوانه فوعدهم بأنه سوف يجد لهم جميعاً الحل الذى سيرضيهم . وأستطاع فى النهاية أن يصلح بطليموس الثالث عشر على كليوبطرة ، وأقام بهذه المناسبة وليمة كبرى فى قصره ، أعلن يوليوس سيزار خلالها ، ضم

قبرص كمملكة مستقلة إلى العرش البطلمي فى الاسكندرية .

ويلاحظ أن السينات الرومانى كان قد أعلن ، قبل هذا بعشر سنوات، ضم جزيرة قبرص إلى الأمبراطورية الرومانية . وخلع من عليها بطليموس قبرص ، شقيق بطليموس أوليتس . الذى أنتحر . وكان هذا من أسباب غضب الأغريق السكندريين على روما . ولعل يوليوس سيزار قد أراد بمبادرته الجديدة مصالحتهم . ولعله أراد أن يجد مملكة ثانية لملكي مصر المتنازعين على عرشها . ومهما كان الأمر ، فان اعلانه اعادة قبرص إلى بطالمة الاسكندرية ، من دون استشارة السينات الروماني ، كان إفتئاتا منه على حقوق السينات .

* * *

وقد هدأت الامور فى الأسكندرية شهوراً ، أى حتى أكتوبر عام ٤٨ ق م . حين علم يوليوس سيزار أن بطليموس الثالث عشر ، ووزيره بوتيناس ، قد أمرا قائدهما على حدود مصر الشرقية ، اخيلاس ، بأن يعود بجيشه إلى الأسكندرية . وفى الشهر التالى ، نوفمبر ٤٨ ق م ، كان اخيلاس يتقدم مع ٢٠٠٠٠ جندى و ٢٠٠٠ فارس ، من بينهم أغريق ومصريون وجابينيون وعبيد ، نحو أبواب المدينة العظمى .

وقد أسرع يوليوس سيزار بالكتابة إلى قواده فى سوريا وآسيا الصغرى واليونان ، كى يرسلوا له امداداتهم . وطلب إلى أخيلاس أن يوقف من فوره تقدمه على الأسكندرية . ولكن أخيلاس قتل رسل يوليوس سيزار قبل أن يلقوه وينقلوا اليه رسالة يوليوس سيزار .

وقد أستقبل الأغريق السكندريون قوات أخيلاس ، عند بلوغها أبواب مدينتهم ، استقبال الأبطال . وساعدوهم على محاصرة القصر البطلمي ، وبداخله يوليوس سيزار وكليوبطرة وبطليموس الثالث عشر . وأمتد القتال بين جنود أخيلاس وجنود يوليوس سيزار فى شوارع الأسكندرية ، وفوق الأرصفة المحيطة بميناثها . وكان لأخيلاس ١٠٠ سفينة حربية . ولم يكن ليوليوس سيزار غير ثلاثين . ولكن هذه السفن الرومانية كانت أكبر ، وأفضل تسليحاً ، من السفن السكندرية . وقد أستطاع يوليوس سيزار بواسطتها أن يسيطر على الميناء ، وأن يحرق عدداً كبيراً من السفن البطلمية فيه . وقد أحترق مع هذه السفن أكثر أرصفة ومخازن الميناء . ويقال أن مكتبة الاسكندرية قد قضي عليها أيضاً خلال تلك الحرائق .

ثم أستطاع جنود يوليوس سيزار أن يستولوا على فنار الاسكندرية . وأن يمدوا منه نفوذهم حول القصر البطلمي . وجعلوا من معبد دايونيساس مقراً لقيادتهم . وأخذوا يسيطرون منه على الناحية الشمالية الشرقية من المدينة .

ولكن أرسينوه ، شقيقة كليوبطرة ، نجحت فى الهرب من القصر البطلمي . وأنضمت إلى قوات أخيلاس المحيطة بالأسكندرية . وبادر إغريق الأسكندرية إلى اعلانها ملكة على مصر ، مع بطليموس الثالث عشر . وكان هذا يعني عزل شقيقتها كليوبطرة عن الحكم .

وكانت أرسينوه الرابعة فى السابعة عشرة من عمرها . وقد عينت

أستاذها ، الخصي الأغريقي جانيميدس رئيساً لوزرائها . ولكن الخلاف سرعان ما دب بين أخيلاس وجانيميدس . وقد علم رئيس وزراء بطليموس الثالث عشر ، بوتيناس ، فى داخل القصر البطلمي ، بأمر هذا الخلاف . فأرسل سراً إلى أخيلاس ، يعلنه بتأييد بطليموس الثالث عشر. ويعده بفراره ، هو والملك البطلمي ، وانضمامه اليه .

ولكن رسول بوتيناس إلى أخيلاس ، وقع فى أيدي جنود يوليوس سيزار . فقبض يوليوس سيزار علي بوتيناس ، وقتله ، (كما أشرنا) فى الوقت الذى كان جانيميدس قد نجح فيه فى التغلب على أخيلاس ، وجعل من نفسه قائداً لقواته .

وكانت امدادات قوات الشرق ، من السفن والجنود وغيرها ، قد أخذت تصل الى يوليوس سيزار . وقد أستطاع أن يسيطر بها على جميع ضواحى الاسكندرية المتاخمة للبحر . ولكن يوليوس سيزار وقع فى «مصيدة» أعدتها له القوات السكندرية ، وكاد أن يفقد فيها حياته . إذ حاصره الجنود السكندريون مع بعض جنوده ، وهو على أحد أرصفة الميناء . حتى أضطر أن يقذف بنفسه إلى مياه البحر ، وأن يسبح ٢٠٠ متر حتى يصل إلى القصر .

يقول بلوتارخ مستخدماً فى روايته خياله :

« وقد سبح يوليوس سيزار مسافة ٢٠٠ متر ، حتى بلغ القصر البطلمي ، فى الوقت الذى كان يحمل فيه بعض الأوراق الهامة ، والتى رفض أن يتركها خلفه . رغم ما كان ينهال عليها من سهام . ولهذا سبح

سبح هذه المسافة الطويلة بيد واحدة وبعضها تحت سطح الماء بينما كانت يده الأخرى مرتفعة من فوقه حاملة أوراقه »

ويلاحظ أن احتفاظ يوليوس سيزار ، ببطليموس الثالث عشر ، داخل القصر البطلمي ، كان يمنع هذا الملك الصبي ، من التورط فى أعمال تدينه ضد الرومان . ولكن كليوبطرة أقنعت يوليوس سيزار بأن الافراج عنه ، كي ينضم إلى القوات السكندرية ، سيسبب الشقاق بينه وبين أرسينوه ومستشاريهما . وقد حدث ما توقعته كليوبطرة . فانه عند افراج يوليوس سيزار عن بطليموس الثالث عشر ، أنضم إلى القوات السكندرية ، وتزعمها ، ولم يعد اسمى أرسينوه وجانيميدس يسمعان .

وكانت كليوبطرة قد حملت من يوليوس سيزار . وقد أنتهزت خروج بطليموس الثالث عشر من القصر ، وانضمامه إلى القوات السكندرية ، فطلقته .

غرام يوليوس سيزار بكليوبطرة

أمر يوليوس سيزار بجمع جيش روماني كبير على حدود مصر الشرقية . وقد تألف هذا الجيش من جنود اغريق وسوريين وعرب ويهود ، وضعوا جميعاً تحت قيادة القائد الروماني ميثريداتيس . وقد ساعده يهود فلسطين وسوريا ، لا بالجنود فحسب ، وانما بالنصيحة والإمدادات أيضاً . وأستمال هؤلاء اليهود ليوليوس سيزار أيضاً يهود الأسكندرية . وقد سبق القول الى أن اليهود كانوا يؤلفون نسبة كبيرة بين أهالي الأسكندرية . وعندما وجد هؤلاء ، أن يهود فلسطين وسوريا قد إنحازوا إلى يوليوس سيزار ، مالوا هم أيضاً اليه .

وقد قاد ميثريداتيس جيشه ، في بداية عام ٤٧ ق م ، من العريش . فأتجه جنوباً بغرب ، ناحية منف . ثم صعد شمالاً الى الاسكندرية . وكان جيش بطليموس الثالث عشر ، الذي يفوقه عدداً وتنظيماً ، لا يزال يحاصر الأسكندرية . وقد عسكر في انتظاره حول بحيرة مريوط .

ولكن يوليوس سيزار خرج بقواته الرومانية من الأسكندرية إلى شرقي بحيرة مريوط . ثم أستدار حول البحيرة ، وأخذ يهاجم جيش بطليموس الثالث عشر من الغرب . وكان جيش ميثريداتيس قد بلغ شرقيها ، في ٢٧ مارس من ذلك العام . فأنقضت الكماشتان الرومنيتان على جيشه ،

ودخلتا الأسكندرية فى مساء ذلك اليوم .

وكانت هذه أول مرة تسقط فيها مدينة الأسكندر الأكبر ، التى سيطر عليها وقتذاك الأغريق البطالمة ، فى أيدى أعدائنا . وقد أعقب انتصار يوليوس سيزار على إغريقها مذبحة كبرى . ذبح فيها الرومانيون عدداً كبيراً من الجنود والأهالي الاغريق . وهرب بطليموس الثالث عشر وأصحابه بأنفسهم فى قارب نيلي . ولكن القارب غرق ، لكثرة من فيه . وقد أمر يوليوس سيزار بالبحث عن جثته ، حتى عثر عليها . فأحضرها الى الاسكندرية ، وعرضها على أهليها .

وأما كليوبطرة ، فقد لازمت قصرها خلال أيام المعركة . ثم تزوجت من شقيقها بطليموس الرابع عشر عقبها . وكان عمره اثنى عشر عاماً . وقد عين له يوليوس سيزار مجلساً للوصاية من بين أتباع كليوبطرة . وثبتهما ملكين على مصر وقبرص . وأعطيا لقب فيلوباتر وفيلاديلفوس ، على ما كان يفعل البطالمة . ولكن بطليموس الرابع عشر لم يساهم قط فى حكم مصر ، ولم يوضع أسمه كشقيقته على عملاتها .

وجدير بالذكر أن يوليوس سيزار قد خص يهود فلسطين وسوريا ، الذين ساعدوه على غزو مصر ، بمكافأة كبرى . فأستصدر لهم موافقة السينات الروماني على إطلاق حرياتهم فى مباشرة شعائر ديانتهم ، واقامة المعابد لها ، وأعاد لهم دولتهم الخاصة ، التى كان القائد الروماني بومبيى قد قضى عليها قبل ذلك بسنوات . وقد أضاف اليها يوليوس سيزار ممراً برياً ، بين هذه الدولة وموانيء البحر الأبيض

المتوسط. وجعل من الزعيمين اليهوديين اللذين أشتركا معه فى قتال السكندريين ، هيركيتوس وأنتباتر ، أميراً ووزيراً لهذه الدولة اليهودية .

وطبيعي أن كليوبطرة لم تسترح لهذه المكافأة الرومانية لليهود . فقد كانت تعتبر دولتهم الجديدة جزءاً من امبراطورية البطالمة . ولا يشك المؤرخون أنها قد حاولت جهدها أثناء يوليوس سيزار عن مكافأتهم بها . فلما لم تفلح فى محاولاتها ، أذعنت وسكتت .

* * *

وكانت كليوبطرة حاملة فى شهرها الثالث أو الرابع من يوليوس سيزار. ولكن هذا لم يمنعها من مصاحبته ، فى ربيع عام ٤٧ ق م ، فى رحلة نيلية كبرى إلى صعيد مصر . والواقع أن هذه الرحلة كانت مهرجاناً ، أو حملة سلمية ، أو دعائية ، إلى هذه المنطقة المصرية الهامة ، والتى تتميز بحضارتها وبتاريخها ومعابدها .

فقد قامت رحلة يوليوس سيزار وكليوبطرة على ٤٠٠ سفينة نيلية . وحفلت بكل مظاهر الفخامة والأبهة . وصاحبها أهم رجال الدولة البطلمية والقواد الرومانيين .

وعندما عادت كليوبطرة ويوليوس سيزار إلى الأسكندرية ، أخذ الأخير يستعد لترك البلاد . وقد صحب معه عندما سافر منها إلى سوريا ، فرقة واحدة من فرقه الرومانية الأربعة التى تجمعت بها . وترك الفرق الثلاثة الأخرى ، مع قائدها العبد الروماني السابق : روفيو ، لحماية كليوبطرة .

وكانت كليوبطرة قد رأت أن تخلد ذكرى الأيام التى قضاها يوليوس سيزار بالأسكندرية ، ببناء معبد هائل . صممته على الطرازين المصري والأغريقي ، هو السيزاريوم . ولكن السيزاريوم لم يكن هو ذكراها الوحيدة منه . ففى سبتمبر عام ٤٧ ق م وضعت كليوبطرة ابناً ذكراً أطلقت عليه اسم بطليموس سيزار . وقد أصدرت فى قبرص ، عملة معدنية خاصة ، عيها صورته وصورتها ، وهى ترضعه لبنها .

وواضح أن كليوبطرة لم تشأ أن تخفى عن العالم أسم الأب الحقيقى لأبنها . وقد أطلق الأغريق السكندريون على بطليموس سيزار أسم سيزاريون ، أي سيزار الصغير . وسجلت كليوبطرة على بعض معابدها أن بطليموس سيزار (سيزاريون) هو أبن آمون رع كما خالطها فى صورة يوليوس سيزار . ولم يعارض يوليوس سيزار فى حياته فى أبوته له . وقد أكد مارك انطونى للسينات الروماني بعد ذلك ، أن بطليموس سيزار هو ابن قنصلهم الرومانى يوليوس سيزار. وأنه بالتالى وريثه الوحدي ، وخليفته فى حكم الدولة الرومانية . ولكن السينات الرومانى لم بقيل الاعتراف به . وعندما ظفر أبن أخ يوليوس سيزار ووريثه الرسمي : أوكتافيوس Octavian بعد ذلك بابن عمه ، قتله ، كما سيجئ . ويلاحظ أن العنف والقسوة كانا يسودان العالم القديم . فلم يكن التخلص من الأعداء والمنافسين عملاً منافياً للأخلاق أو العرف ، كما نظن الآن .

* * *

وقد ذهب يوليوس سيزار بعد مبارحته الأسكندرية إلى سوريا . ثم إلى بونتاس . حيث قضى على فتنة ملكها فارناسيس الثاني . وقد هزمه فى معركة سريعة فى زيلا فى أغسطس عام ٤٧ ق م . ونقل يوليوس سيزار للسينات الروماني يومئذ خبر انتصاره بكلماته الشهيرة : حضرت. ونظرت . وانتصرت ! .

ولم يكد يوليوس سيزار يصل إلى روما فى شهر سبتمبر التالي ، حتى تركها إلى شمالي أفريقيا . ويقال أنه قد أقام خلال هذه الرحلة علاقة حميمة بينه وبين الملكة المريتانية اينوه ، زوجة الملك بوجود .

وقد أنتصر يوليوس سيزار فى معركة رأس ديماس ، فى تونس ، فى ابريل عام ٤٦ ق م ، على أبناء ومناصري بومبيي .

ثم عاد يوليوس سيزار فى يولية عام ٤٦ ق م إلى روما . وأحتفل فى نهاية صيف ذلك العام بأنتصاراته الكثيرة فى أنحاء حوض البحر الأبيض المتوسط . فأقيمت المهرجانات والأحتفالات . ونقشت ، ورسمت، الرسوم والصور ، على الأبنية والمعابد . ومثلت انتصاراته الكبرى تمثيلاً واقعياً وكاملاً ، فى الميادين والساحات ، أمام الرومانيين . وفى المسيرة النهائية التى ختمت بها تلك الأحتفالات ، فى أول أكتوبر من ذلك العام، عرضت النفائس والغنائم التى ظفر بها خلال حروبه . وسار فى هذه المسيرة بعض من أسرهم من الأعداء . وكان من هؤلاء عدد من الأسرى البطالمة ، وعلى رأسهم الأميرة البطلمية والملكة السابقة أرسينوه الرابعة. وكانت مكبلة بقيود ثقيلة من الذهب . وقد بدت كسيرة الجناح ، واضحة

الحزن والأعياء . حتى عطف عليها الرومانيون ، وطالبوا بالعفو عنها ، فنفيت إلى معبد أرتيمس فى ايفسوس بدلاً من قتلها .

وقد حضرت كليوبطرة ، وزوجها بطليموس الرابع عشر ، وابنها بطليموس سيزار (سيزاريون) هذه الاحتفالات . وكانوا على رأس بعثة بطلمية كبيرة ، تركت الاسكندرية إلى روما لهذا الغرض . ووجدت كليوبطرة بهذه المناسبة ، أن تجدد وتقوي علاقاتها بالسيد الجديد في روما . وقد نزلوا جميعاً فى ضيعة يوليوس سيزار الخاصة فى لافيكوم ، على نهر التيبر ، وليس فى منزله فى روما ، الذى كانت تعيش فيه زوجته كالبورنيا . ويقال أن كليوبطرة ويوليوس سيزار قد أستأنفا فى تلك الضيعته غرامهما . وتعرفت كليوبطرة خلال زيارتها على كثيرين من الساسة والقواد الرومانيين ، الذين حاولوا التقرب منها لثقتهم فى علاقتها القوية بيوليوس سيزار .

ولكن كليوبطرة لم تنل فى تلك الزيارة اعجاب أو حب الرومانيين ، وانما استياءهم وبداية كراهتهم لها . وكان التفات يوليوس سيزار لمحبوبته، واضحة ، ومنحه لها الهدايا والألقاب والأقطاعيات ، تزيدهم استياءاً وقلقاً . إذ كانوا يخشون طموحاتها السياسية . ويرددون الأقوال والشائعات عن إنقياد يوليوس سيزار لها ، أو عن تفكيره في نقل عاصمة حكمه من روما إلى الأسكندرية .

وكان يوليوس سيزار قد أصبح ديكتاتوراً سافراً . ولم يعد يعبأ برأى أحد من مستشاريه وأصدقائه . وكانت صحته قد ساءت . وأخذت تنتابه

نوبات من الصرع والدوار والغيبوبة . وقد أمر بوضع تمثال لكليوبطرة ، على عادة المصريين القدماء ، وعلى غير عادة الرومانيين ، فى معبد ڤينوس الروماني . وأدخل بعض طقوس الآله السكندري دايونيساس إلى روما .

اغتيـال يوليـوس سـيزار

ترك يوليوس سيزار روما مرة أخرى ، فى نهاية عام ٤٦ ق م ، إلى أسبانيا . فاستأنف حربه ضد أبناء ومناصري بومبيي . وقد هزمهم فى موندا فى مارس عام ٤٥ ق م . وعاد فى صيف ذلك العام إلى روما . ويقال أن كليوبطرة قد أنتهزت فرصة تركه لروما ، فعادت الى الأسكندرية ، محملة بهداياه الكثيرة . ولكنها لم تمكث فيها الا أسابيعاً، ثم توجهت مرة أخرى فى روما .

وعندما عاد اليها يوليوس سيزار ، فى شتاء عام ٤٥ ق م ، كانت كليوبطرة بأنتظاره . وقد قضيا بعض الوقت معاً فى ضيعته فى جنوبي روما . وهناك وضع يوليوس سيزار وصيته .

ويلاحظ أن يوليوس سيزار كان قد غضب ، منذ أواخر عام ٤٨ ق م ، على نائبه فى حكم روما : مارك أنطوني . وأنه عندما وضع وصيته ، فى عام ٤٥ ق م ، أى بعد غضبه عليه بثلاثة أعوام ، لم يذكره بشئ . بل أوصى بأن يصبح أبن أخيه ، أوكتيافيوس ، وريثاً شرعياً له .

وقد ترك يوليوس لاوكتافيوس أيضاً ثلاثة أرباع ثروته . ولم يترك لزوجته كالبورنيا ، ولابنته منها : جوليا ، غير الربع الباقى .

ومع أن كليوبطرة كانت تلازمه خلال هذا الوقت ، فانه لم يترك لأبنه

منها شيئاً ولم يوص له بشئ وقد حير هذا المؤرخون فهل لم يعترف يوليوس سيزار - فى نهاية حياته - بأبوته لبطليموس سيزار ؟ واذا كان قد فعل ، فلماذا لم يوص له بشئ ؟

والواقع أننا لا نعرف شيئاً دقيقاً عن رأى يوليوس سيزار فى بطليموس سيزار . ولكننا نعلم أن القانون الروماني لم يكن يجيز لغير الرومانيين وراثة الرومانيين . ولولا هذا لربما أستطاع يوليوس سيزار أن يجعل من أبنه من كليوبطرة ، وريثاً شرعياً له في حكم روما بدلاً من اوكتافيوس .

* * *

وقد ذهب يوليوس سيزار وكليوبطرة ، فى بداية الشتاء ، الى روما وكانت شائعات كثيرة قد ثارت حولهما . فقد قيل أن يوليوس سيزار سيطلق زوجته كالبورنيا ، وأنه سيتزوج من كليوبطرة . وقيل ، بل هو سيتقدم للسينات الروماني بمشروع للتصريح له بالزواج من اثنتين ! وقيل أنه سينقل عاصمة الأمبراطورية الرومانية من روما الى الأسكندرية! . وأنه سيعيش مع كليوبطرة فيها !

وكان أصدقاء يوليوس سيزار قد أخذوا يعزون ما بدا من ديكتاتوريته الى معيشته الطويلة فى الشرق ! . والى تأثير كليوبطرة السئ عليه ! . وذكروا أنه قد أصبح يرفض ، منذ عودته من مصر ، الطقوس والعادات الرومانية ، ويجاهر بامتياز الطقوس والعادات المصرية ! . وأنه لم يعد يثق أو يجامل النبلاء والقواد الرومانيين ،

وأصدقاءه القدماء ، على ما كان يفعل معهم سابقاً ! .

وطبيعي أن يتأثر الأنسان بما يعايش . وأن يميل إلى الأخذ بما يردده له خلصاؤه . وقد عاش يوليوس سيزار سنوات ، وهو يحارب في الشرق . وعرف كليوبطرة وعاشرها سنوات طويلة . ولا يغفل الملاحظ ، أن يوليوس سيزار ، كان قد بدأ يبني في شمالي ايطاليا ، قنوات ري ، كالتي شاهدها في مصر . وأنه عندما زار المنطقة الواقعة بين البحرين الأيوني والأدرياتيكي في اليونان ، أمر بأن يشق خلالها قناة بحرية كبرى ، على غرار القنوات التي ربطت في مصر بين مياه البحرين الأبيض والأحمر .

وليس من شك أن مكتبة الاسكندرية كانت في خاطره ، عندما أمر المهندس الروماني فارو ، بأن يبني في روما مكتبتها الجديدة . وأن التقويم المصرى القديم المعتمد على السنة الشمسية ، كان قد حظى باعجابه ، حتى أمر الرومانيين بأن يتركوا تقويمهم القديم ، المعتمد على القمر ، وأن يتبعوه .

* * *

وكان يوليوس سيزار على نية ترك روما في ١٨ مارس عام ٤٤ ق م ، لقيادة حملته المقبلة على البارثينيين . ولكن أشراف روما ، وقواد الجيش الروماني ، وأصدق أصدقائه ، كانوا يخشون أنه اذا تركها فلن يعود اليها . إذ لم يعودوا يطمئنون الى تصرفاته ، والى جانبه تلك المرأة الاغريقية الطموحة الشريرة التي أبعدته عنهم : كليوبطرة ! .

وقد تواترت فى أنحاء روما شائعات ، عن مؤامرة واسعة ، تدبر لأغتيال يوليوس سيزار . والغريب أن هذه المؤامرة لم يكن يدبرها أعداؤه، وأنما أهم خلصائه وأصدقائه . وقد حدد السينات الروماني جلسة خاصة، قبل ثلاثة أيام من سفر يوليوس سيزار ، أى فى ١٥ مارس ، لبحث حقيقة هذه الشائعات ، ومناقشة خطط يوليوس سيزار المقبلة .

وفى صباح ذلك اليوم ، كان سيزار متوعكاً . وكان يجب ألا يبارح يبقى فى قصره . ولكنه لم يشأ أن يتخلف عن اجتماع السينات . وقد حضر اليه فى قصره عدد من أصدقائه ، كى يصحبوه اليه . فسار معهم يوليوس سيزار إلى مكان الأجتماع ، متبسطاً ومتضاحكاً . ولكن صديقاً قديماً اعترضه ، وحاول أن يحذره مما سيجري له . وقد أزاحه يوليوس سيزار عن طريقه بيده ، ولم يستمع إلى كلماته .

وعند قاعة الأجتماع ، تقدم منه أحد المتآمرين ، تيليوس سيمبر ، بعريضة . ولكن يوليوس سيزار أزاحها بيده أيضاً . ومع ذلك ، لم يبتعد تيليوس سيمبر عنه . وقد جذبه من سرواله ، محاولاً أن يلقيه على الأرض . ثم تقدم منه صديقه كازيوس ، فضربه بخنجره الطعنة الأولى . ثم طعنه صديقه الآخر كاسكا بخنجره طعنة ثانية ، فى رقبته . ثم توالت الطعنات فى جميع أجزاء جسمه . وقد ختمها كازيوس بطعنة بين فخذيه. والأخير طعنه بروتس ، وكان من أعز أصدقائه ، فى وجهه .

وربما دهش يوليوس سيزار ، ولم يفهم قط ، أسباب انقلاب أصدقائه، عن ظن أنهم يحبونه ، عليه . والثابت أنه لم يحاول الدفاع عن نفسه .

وقد ذكر لبروتس ، عندما وجه اليه طعنته ، كلماته الشهيرة : حتى أنت يا بروتس ! . ثم وقع على الأرض . وكان قد أصيب بثلاثة وعشرين طعنة كبرى .

والواقع أن أصدقاء يوليوس سيزار ، الذين شاركوه مسيرته وكفاحه الطويلين ، ثم قتلوه ، لم يكونوا يكرهونه . وانما هم قد أحبوا روما . وأخلصوا للأمبراطورية الرومانية الصاعدة . بأكثر مما أحبوا صديقهم الذى استبد بها ! .

الصراع بين خلفاء يوليوس سيزار

عندما قتل يوليوس سيزار ، أسرعت كليوبطرة بترك روما إلى الأسكندرية . ويقول شيشيرون : أن حزنها عليه كان كبيراً . وأنها تلقت على مملكتها . وأن هذا الحزن ، وذلك القلق ، قد أديا إلى أن تفقد حملها الثاني منه !.

والجدير بالذكر ، أنه عند نهاية ذلك العام ، ٤٤ ق م ، أختفى زوجها بطليموس الرابع عشر من الاسكندرية . وقيل أنه مات . وقد ذكر المؤرخ اليهودي جوزيفوس Josephus أن كليوبطرة قد قتلته بالسم ! . ولكن هذا إتهام مشكوك فى صحته . اذ أن التنافس والعداوة كانتا قويتين بين كليوبطرة ويهود فلسطين وسوريا كما أشرنا .

ومهما كان الأمر ، فان كليوبطرة قد اختارت ، منذ عام ٣٧ ق م ، وليدها ، بطليموس سيزار ، ملكاً معها على مصر . وأطلقت عليه أسمى ثيوس وفيلومرتور (المحب لأمه) . وأنفردت هى بالحكم .

ويلاحظ أن كيلوبطرة قد صورت نفسها ، ووليدها ، بطليموس سيزار، خلال هذه السنوات الأولى لولادته ، على نحو ما كان يفعل الفراعنة ، على جدران المعابد المصرية القديمة . وأنها قد أختارت لهذا الغرض جدران معبد هاتور بالذات . فصورت «هاتور» تلك البقرة

المقدسة، وهى ترضع وليدين . أحدهما حوراس ، والثانى بطليموس سيزار . وصورت نفسها فى معابد رع ، فى صورة أم ذلك الآله «الشمس» وهى تبزغ على صورة وليدها ، فى هيئة جعران مقدس .

وحوراس هو ابن إيزيس من أوزيريس ، الذى حاول أن ينتقم لمقتل والده. فهل أرادت كليوبطرة أن تقول أن على بطليموس سيزار أن ينتقم لمقتل والده يوليوس سيزار ؟

لقد تصور بعض المؤرخين ، أنه كان فى موقفها هذا تعريضاً بأوكتافيوس ، الذى قد أخذ على عاتقه مهمة الأنتقام لعمه ومورثه : يوليوس سيزار .

* * *

وكانت خلافة يوليوس سيزار فى حكم الامبراطورة الرومانية ، قد أنحصرت فى اثنين : الأول هو نائبه مارك أنطوني . وكان مغضوباً عليه كما ذكرنا منذ عام ٤٨ ق م . ولكنه ظل محتفظاً بمنصب نائب القنصل . كما أن يوليوس سيزار كان - كما قيل - قد أخذ يرضى عنه قبيل اغتياله .

والثاني هو وريث يوليوس سيزار الشرعى : أوكتافيوس . وكان صبياً، لم يبلغ العشرين من عمره . ولم يزل يتابع تعليمه فى اكاديمية عسكرية فى أبولونيا (الآن فى البانيا) . وقد سارع إلى ايطاليا بعد اغتيال يوليوس سيزار . وأخذ يعتمد ، بقدر متزايد ، وكفاءة كبيرة ، على خلصاء وجنود عمه ومورثه . حتى أستطاع فى الخريف التالي ، ٤٣

ق م ، أن يقف نداً لمارك أنطوني . وأن يضطره إلى ترك ايطاليا ، والأنسحاب إلى فرنسا .

وأما قتلة يوليوس سيزار ، وعلى رأسهم بروتس وكازيوس ، فقد تركوا روما إلى البلدان الشرقية . وأخذوا يحشدون الجنود والأتباع للصراع القادم على مصير الأمبراطورية الرومانية . وقد ذهب كازيوس إلى سوريا ، وحاول أن ينتزع الحكم هناك من القائد الرومانى : دولابيلا . وقد أستنجد كل منهما بقواد وحكام الشرق ، ومنهم كليوبطرة .

وقدرت كليوبطرة أن واجبها هو أن تساعد دولابيلا ، الذى كان يعمل على الأنتقام من قتلة يوليوس سيزار ، وليس كازيوس ، أحد قتلته . فسمحت للفرق الرومانية المعسكرة بالأسكندرية ، بقيادة ألينيس، بتركها والأنضمام لدولابيلا .

ولكن كازيوس هزم دولابيلا فى لاتيكا فى عام ٤٣ ق م . وقتل دولابيلا نفسه بعد هزيمته . وعندما بلغ ألينيس وفرقه الرومانية تلك البلاد ، ووجدها تحت السيطرة الكاملة لكازيوس ، أضطر للانضمام اليه!.

وقد عرض هذا كليوبطرة لموقف لا تحسد عليه . فان نياتها ضد كازيوس كانت قد وضحت له ، قبل أن تتحرك الفرق الرومانية من الأسكندرية . وهاهى الآن تخسر وجهها أمام ورثة يوليوس سيزار ، بعد انضمام ألينيس إلى اعدائهم ! .

وجدير بالذكر ، أن سيرابيون ، حاكم مصر فى قبرص ، كان قد أنضم منذ بداية الصراع لكازيوس . بل أن أكثر أقطار الشرق ، كانت قد

انضمت إليه ، أو إلى حليفه بروتس . وقد أخذ كازيوس يعد جيشاً كبيراً لغزو مصر، لا شك بنية القضاء على كليوبطرة . ووجدت شقيقتها أرسيتوه ، الملكة السابقة على مصر ، أن الفرصة قد واتتها لمحاولة إستعادة عرشها. فأعلنت تأييدها لكازيوس وبروتس . وأخذ كبير كهنة معبد أرتيمس فى إيفسوس يلقبها علانية بأسم ملكة مصر ! .

ولكن الظروف وحدها ، أنقذت كليوبطرة من حيرتها ..

فان مارك أنطوني وأوكتافيوس توصلا إلى اتفاق . أنتهيا فيه ، مع غريمهما الثالث ليبيدس Lepidis إلى تأليف تحالف ثلاثى« تريمفيرا» يحكم الأمبراطورية الرومانية مدة ٥ سنوات . وقد تزوج أوكتافيوس ، كعربون لهذا الأتفاق الجديد ، من ابنة زوجة مارك أنطوني : كلوديا Claudia . وأخذ الثلاثة : مارك أنطوني ، وأوكتافيوس ، وليبيدس ، يحشدون قواتهم للقضاء على قتلة يوليوس سيزار فى الشرق .

وقد أحس بروتس ، فى شرقى اليونان ، بكل ما جرى فى الغرب ، فأرسل يستدعى اليه على وجه السرعة كازيوس وجنوده . وقد اجتمع الجيشان فى سميرنا (الآن أزمير فى تركيا) قبل نهاية عام ٤٣ ق م . وترك كازيوس مشروع غزوه لمصر . وأخذ يطالب ، هو وبروتس ، كليوبطرة بأن تقدم لهما كل ما تستطيع من مساعدة .

وقد حاولت كليوبطرة أن تتعلل بارتفاع فيضان النيل ، الذى أدى إلى قحط شديد فى مصر ، خلال عامى ٤٢ و ٤١ ق م . وردت على كازيوس بأن مملكتها فى مجاعة وفقر ، تجعلانها عاجزة عن تقديم

مساعداتها اليهما . ووعدته رغم هذا بفعل كل ما تستطيع .

وكان كازيوس قد سمع أن كليوبطرة تعد أسطولاً ضخماً ، تنوي ارساله إلى «تريمفيرا» مارك انطونى وأوكتافيوس وليبيدس . وقد حاول أن يمنع وصول هذا الاسطول لأيطاليا . فأرسل قائده موركوس ، على رأس ٦٠ سفينة حربية ، إلى طرف اليونان الجنوبي ، للقضاء عليه عند مروره بها .

ولكن الأسطول الذى أعدته كليوبطرة ، وخرجت على رأسه ، لم يكد يترك سواحل مصر الشمالية ، حتى هبت عليه عاصفة هوجاء ، قضت عليه ، وأصابت كليوبطرة بالمرض . فعادت مع ما بقي منه إلى الأسكندرية . ويقال أنها قد أخذت تعد فور عودتها أسطولاً آخر تعيد به محاولتها .

ويقول بعض المؤرخين ، ان الحقيقة هى أن كليوبطرة كانت فى حيرة من أمرها ، ولا تعرف تماماً أى جانب يتحتم عليها أن تساعد ! . وأن خروجها ، وأصابة أسطولها ، ثم عودتها مريضة ، ومحاولتها بناء أسطول جديد ، كانت كلها «تمثيل فى تمثيل» أرادت به كسب الوقت ، وتحديد الموقف الذى تتخذه ! . ومع استطاعتها القول ، فى النهاية ، بأنها كانت تنوى مساعدة هذا الطرف أو ذلك ! .

سيادة مارك أنطوني على الامبراطورية الشرقية

فى ٤ اكتوبر عام ٤٢ ق م ، دارت فى فيليبيا باليونان ، المعركة الفاصلة المنتظرة ، والتى قررت مصير الامبراطورية الرومانية . وقد أستطاعت جيوش مارك أنطوني وأوكتافيوس أن تقضى فيها على جيش كازيوس وبروتس . وفى أثرها قتل القائدان المهزومان نفسيهما .

وأما مارك انطونى وأوكتافيوس ، فقد حرما ، بعد انتصارهما فى تلك المعركة ، شريكهما الثالث ليبيدس ، من الحكم . فذهب ليبيدس إلى صقلية ، حيث أنضم اليه هناك سيكتس بومبياس Pompeius ابن القائد الروماني بومبيي ، الذى سبق أن اختلف مع يوليوس سيزار . وقد أخذ ليبيدس وبومبياس يقاومان معاً جيوش وأساطيل أوكتافيوس سنوات طويلة تالية .

وكان مارك أنطوني نبيلاً رومانياً ، تجاوز الأربعين من عمره . ومن عائلة شريفة ، وإن كانت قليلة الثراء . وكان جده خطيباً رومانياً شهيراً . ووالده قائداً عسكرياً رومانياً . وقد عمل مارك أنطوني كنائب قنصل ليوليوس سيزار سنوات . ثم علا نجمه بعد معركة فيليبيا . فقد كان ناضجاً ، ومجرباً ، ومحبوباً . والتف حوله أصدقاء وأنصار كثيرون . وآزره الرومانيون عامة . وعاضده السينات تعضيداً يكاد أن يكون

كاملاً. وأصبح أمل روما الجديد ، فى بناء امبراطورية كبرى ، تهزم البارثينيين ، وتتفوق على امبراطورية الأسكندر الأكبر القديمة .

وأما أوكتافيوس ، حليف مارك أنطوني ، فكان شاباً في ضعيف الجسم ، قليل التجربة . ولم يكن يتمتع بميزة أخرى ، إلى جانب الأسم والأرث اللذين تركهما له يوليوس سيزار . فلم يكن الرومانيون يرجون من ورائه آمالاً واسعة . ومع ذلك ، فقد عاش أوكتافيوس حوالى ٦٠ عاماً . وأصبح أول وأعظم قياصرة روما . وحقق من النجاحات والأحلام ما لم يتوقعه أحد .

وقد قسم مارك أنطوني وأوكتافيوس الأمبراطورية الرومانية بينهما . فأختار الأول النصف الشرقي منها ، أى المستعمرات والممالك المتحالفة فى اليونان وآسيا الصغرى وسوريا ومصر . وأختار الثاني النصف الغربي منها ، أى فرنسا واسبانيا وشمالي افريقيا . وقد بقيت ايطاليا مركزاً وقاعدة مشتركة للحليفين . اذ كان ، كلاهما ، يحتاجان اليها لتجنيد الجنود ، ثم اعاشتهم عند تقاعدهم فى أراضيها .

* * *

وقد قضى مارك أنطوني شتاء عام ٤٢ / ٤١ ق م فى مقدونيا . وكان يميل بطبعه للحياة الأغريقية . فأنفق وقته هناك فى حضور الأحتفالات والمهرجانات ، والتناقش مع الفلاسفة والأدباء . وقد ذهب فى بداية عام ٤١ ق م الى إيفسوس ، حيث كلل نفسه «دايونيساس» جديد. وأصبح رباً هيلينياً، يقابل الرب باخوس الروماني، ويمثل الفتح والسعادة

والخلود . ويقال أنه قد وقع ، أثناء مقامه فى اليونان ، فى غرام أميرة جلافيرا ، ووالدة أرخيلاوس سيسينز ، وقد نصبها ملكة على بلادها! .

ولكن مارك أنطوني كان يحتاج ، بعد قتاله لكازيوس وبروتوس ، وللأستعداد لقتال البارثينيين ، الى مال . وقد أخذ يوقع العقوبات والغرامات على الأقطار التى ساعدت غريميه السابقين . ولما كان موقف كليوبطرة أثناء ذلك القتال ، غامضاً نوعاً ما . فقد دعاها لملاقاته فى طرسوس ، لمحاولة تفسير ذلك الموقف ، وبحث المساعدات التى تستطيع أن تقدمها له فى حربه القادمة . وجدير بالذكر أن الرسول الذى أختاره مارك أنطوني للذهاب إلى كليوبطرة فى الأسكندرية ، كان صديقه ومؤرخه : كونتيس ديلفوس . ويقال أنه كان بينهما علاقة شاذة ! .

وقد كتب بلوتارخ فى وصف مارك أنطوني : أنه كان فى مظهره ... «وقار . فلحيته كانت مشذبة . وجبهته عريضة . وأنفه رومانية مقوسة . وكانت هذه الصفات ، عندما تجتمع معاً ، تعطيه منظراً رجولياً . حتى قد يخيل للناظر أنه الآله هرقل ذاته . والحقيقة هى أن أقاويلاً كثيرة كانت تربط بين أجداده وبين ذلك الآله الروماني . وكان مارك أنطوني يحب أن يقال له انه يشبه فى صورته ذلك الآله . وكان يحاول أن يقوي ذلك الأنطباع فى نفس من يراه ، بالطريقة التى يتخذها فى لباسه . إذ كلما ظهر أمام الناس ، ضم عباءته الواسعة حول وسطه . ودلى منها سيفاً كبيراً وخنجراً ثقيلاً . والحقيقة هي أن هذه المظاهر ذاتها ، هى التى كانت تنقص من قدره عند خاصة الرومانيين . فيرون فى روحه تعظماً .

وفى حديثه تفاخراً . وفى لغته الحميمة مع من حوله سوقية . وفى جلوسه مع رجاله فى طعامهم ولهوهم تجاوزاً . وفي إزدراده للطعام وهو واقف خفة . ومع ذلك ، فان هذه الصفات غير المتكلفة ذاتها ، هى التى كانت تقربه من رجاله . فيسعدون به وسطهم ، ويزدادون له حباً» .

وقد أخذ على مارك أنطوني ، بالاضافة إلى البساطة التى تحدثنا عنها ، مرحه ، وسخريته أحياناً من نفسه . وكذلك عجزه «السيكلوجى» عن فهم طبائع بعض من يقابلهم . و «كسله عن النهوض واغتنام المواقف، مما ضيع عليه فرصاً كثيرة» .

كذلك ذكر شيشيرون أن مارك أنطوني كان كثيراً ما يفرط فى الشراب . و «يحيل جلساته إلى مساخر» . وأنه وان كان قد أشتهر بالشذوذ فى شبابه ، فقد اتجه بعد ذلك الى النساء . و «لم يكن يشبع منهن قط» ! .

وكتب بلوتارخ :

«ان ضعفه تجاه الجنس الآخر ، كان أحد مظاهر الجاذبية فى شخصيته، بل أنه كان يكسبه قلوب الكثيرين حوله . حتي ان أصدقاءه كانوا كثيراً ما يستشيرونه فى مشاكلهم العاطفية الخاصة . فيقبل على محادثتهم فيها عن طيب خاطر ، ويمازحهم حولها . وليس من شك أنه كان فاهماً ومتمرساً لهذه المسائل . وأنه لم يكن يهتم للنتائج التى قد تؤديها مواقفه منها . وانما كان يترك للطبيعة أن تأخذ مجراها . ولا ينظر خلفه إلى الخراب العائلي الذى قد يكون قد سببه» .

اجتماع كليوبطرة ومارك أنطوني فى طرسوس

لم تسرع كليوبطرة بالسفر لمقابلة مارك أنطوني فى طرسوس . وانما أنفقت بعض الوقت فى التفكير والأستعداد . ثم أستقلت سفينة فخمة من الأسكندرية «وفي ليتها أن تثبت لمارك أنطوني صلاحيتها كملكة ، باقناعه بامتيازها كأمرأة .

« كانت كليوبطرة تعتمد قبل كل شئ على حضورها الجسدي . وعلى السحر والأنجذاب اللذين لا تخفق فى اشعال نيرانهما فيما حولها . وقد دخلت ميناء طرسوس مستقلة سفينة رائعة . والرياح تتلاعب بأشرعتها . بينما المجدفون يحركون مجاديفهم الفضية علي موسيقى الفلوت . يصاحبها الأبواق واللوت . وكليوبطرة مستلقية تحت مظلة ذهبية ، في لباس الربة الأغريقية ڤينوس (أفروديت عند الرومان) كما تعرفها الرسوم . وقد وقف الي جانبيها صبيان ، متزييان في صورة كيوبيد . ويحركان مراوحهما الكبيرة فوق رأسها بأنتظام . ولم يكن على ظهر السفينة بحار واحد . وانما أمتلأ القارب عن آخره بسيدات البلاط البطلمي . وقد تزين فى صور الآلهة . وأمسك بعضهن بدفة السفينة ، وتعهدت الأخريات الأشرعة . وقد فاح فى الجو رائحة عطر نفاذ أفصح عن اقتراب السفينة ، وتخلل الحواس ، وهى بعد بعيدة .

« وكان يحيط بسفينة كليوبطرة كوكبة من السفن الأخرى البطلمية التى كانت تتهادى حولها ، أمام الجموع الغفيرة التى زحمت شاطئ النهر ، من مصبه إلى المدينة . حتى خلت الأسواق من الناس . ووجد مارك أنطوني نفسه وحيداً ، بعد أن تركه أصدقاؤه لأستقبال القافلة المقبلة عليهم . وتناقل الناس ان ڤينوس قد وصلت ، كي تنعم مع دايونيساس بالسعادة ، التى ستشرق على أنحاء آسيا » .

ويتابع بلوتارخ حديثه ، فيقول :

« ثم أرسل مارك أنطوني رسالة إلى كليوبطرة يدعوها فيها إلى الطعام معه . ولكنها ردت أن من المناسب ، وقد قطعت اليه هذه الرحلة الطويلة ، أن يأتي هو إليها . ولما كان مارك أنطوني حريصاً على إظهار جمال خلقه ، وحسن نياته ، فقد قبل على الفور . وذهب هو إليها . وقد وجد أن الأستعدادات التى أقيمت للأحتفال به كانت عظيمة . وأكثر مما يستطيع انسان أن يصفها . ولكن ما أدهشه أكثر من أى شي آخر ، هو الأنوار التى أمتلأت بها قاعة الطعام . فقد كانت كثيرة . وقد تدلت من السقوف ومن الجوانب فى آن واحد . وقد تفرقت وتجمعت فى نظم وأشكال مختلفة . فبعضها مستدير ، وبعضها مربع . وقد كونت فى مجموعها منظراً رائعاً ، أدهش كل من رآها » .

وقد ذكر المؤرخ الأغريقي سقراط الروديسي Socrates of Rhodes فى وصف وليمة كليوبطرة لمارك أنطوني «ان الأطباق وأدوات المائدة كانت كلها من الذهب الخالص» . وأن جدران قاعة الطعام كانت

«محلاة بلوحات وخيوط من الذهب والفضة» . وقال أنه : عندما ألقى مارك أنطوني نظره على الموائد الاثنى عشر التى أعدت له ولأصحابه ، أبدى دهشته لكليوبطرة من فخامتها وذوقها الرفيع . فأجابته : ان كل ما تراه هدية مني إليك ! .

« وقد دعته كليوبطرة للعشاء معها مرة أخرى في اليوم التالي . ودعت معه أصدقاءه وضباطه . ولكن الوليمة الأولى بدت تافهة إلي جانب الوليمة الثانية . ومرة أخرى ، أهدت كليوبطرة كل ما على الموائد للحاضرين . وخصت كل ضابط من ضباط مارك أنطوني بالوسادة التى جلس عليها . وكل ضابط من ضباطه الكبار ، بحصان فوقه سرج من الفضة . ثم أرسلت لبعض ضيوفها عدداً من العبيد الأثيوبيين . ولكل من الباقين تالنتاً ، كي يشتروا به زهوراً لأنفسهم » .

يقول بلوتارخ :

« وفى اليوم التالي ، رد مارك أنطونى لكليوبطرة حفاوتها . فأقام لها حفلاً رائعاً. ومع أنه قد أراد أن يبزها بفخامته وجماله، فانه لم يوفق فى غرضه . وكان هو نفسه أول الساخرين من عجزه وقلة حيلته . وقد ردت كليوبطرة عليه بأنه يبالغ فى سخريته . وأن كلماته قد نمت عن شدة الجندي فيه ، وليس عن فصاحة الدباماسي . ثم جارته فى طريقته . وأنطلقت تعامله فى حرية ، ومن دون تحفظ » .

وهكذا أسرت ڤينوس / أفروديت (كليوبطرة) من يومها الأول دايونيساس (مارك أنطونى) !. «وأشرقت شمس جديدة ، ومعها السعادة

الكاملة» كما قال بلوتارخ «على انحاء آسيا» ! .

وكانت فولڤيا Fulvia زوجة مارك أنطوني الثالثة . وكان هو زوجها الثالث . بعد أن توفيت زوجتاه ، وزوجاها ، السابقون . وكانت سيدة رومانية جميلة . تحسن ادارة منزلها ، وتتعهد أمور زوجها فى روما بمعرفة واقتدار . وقد قيل أن فولڤيا ، كانت أول امرأة رومانية تلعب دوراً سياسياً سافراً ، على مسرح الأحداث السياسية فى روما . وأنها كانت أول من وضع صورتها من النساء على النقود الرومانية .

ولكن بلوتارخ ، قسا على فولڤيا (كما قسا على كليوبطرة) قسوة شديدة . فقال انه «لم يكن فيها شئ أنثوي سوى جسدها» ! . وقال انها لم تكن تهتم بالغزل ، ويشثون النساء الأخرى . «ولم يكن ينتظر منها أن تكون زوجة لرجل لا يعمل بالأعمال العامة ، أو لا ينشغل بأمر الحكم» . إلى أن يقول :

«والحقيقة أن كليوبطرة كانت مدينة لفولڤيا ، لتعويدها لأنطوني احترام سلطات زوجته . وأنه عندما قابل كليوبطرة ، كان قد أعتاد هذه الطريقة من فولڤيا ، وتعلم منها الأستماع إلى ما تقول » ! .

وأما شيشيرون ، فيدافع عن فولڤيا دفاعاً حاراً . ويقول أنها قد عاشت لزوجها كالراهبة . وأنه ظل يتصيد أخطاءها . ولكن (يتساءل شيشيرون) كيف يمكن لامرأة عاشت حياتها ، أن تتحرر عن كل خطيئة ، الى جانب ما فيها من محاسن ؟! .

ولادة توأمي كليوبطرة من مارك أنطوني

عكست العلاقة الجديدة ، بين كليوبطرة ومارك أنطوني ، ظلالها على المصالح السياسية والأقتصادية بينهما . وأتفق الاثنان ، على أن تقدم كليوبطرة لمارك أنطوني ، كل ما تستطيعه من أموال . وأن تبنى له السفن التى يحتاجها بالأسكندرية ، استعداداً لغزوه القادم لمملكة البارثينيين . ووافقها مارك أنطوني على ضرورة التخلص من شقيقتها أرسينوه . ولكنه أعترض على ضم مملكة اليهود فى فلسطين إلى مملكتها البطلمية .

وقد أمر مارك أنطوني بأعدام أرسينوه ، ومعها كبير كهنة معبد أرتيمس فى إيفسوس . الذى كان قد تجرأ ، كما ذكرنا ، فلقب أرسينوه بأسم ملكة مصر . ولكن لما سمع أبناء إيفسوس بخبر اعدام كبير كهنتهم، أرسلوا وفداً كبيراً إلى مارك أنطوني أستطاع فى النهاية أن ينقذ حياة هذا الكاهن . من دون أن يستطيع الوفد أن يفعل شيئاً لأرسينوه .

كذلك قتل مارك أنطوني حاكم قبرص ، سيرابيون ، الذى كان قد لجأ إلى صور . وأمر بأن يعدم معه أحد أبناء مدينة أرفد السورية . وكان قد ادعى أنه بطليموس الثالث عشر ، وأنه لم يغرق فى النيل . أو أنه غرق،

ثم عاد إلى الحياة بعد غرقه ! .

وقد جعل مارك أنطوني من الأمير اليهودي هاريكاتوس ، ملكاً لليهود ، بأسم هاريكاتوس الثانى . وعين ابنى أنتيباتر (الذى كان قد مات) فاسيال وهيرود ، أميرين ،و نائبين للملك اليهودي فى القدس والخليل على التوالي .

* * *

وفى شتاء عام ٤١ / ٤٠ ق م ، زار مارك أنطوني الأسكندرية . وقد نزل المدينة (على عكس يوليوس سيزار فى عام ٤٨ ق م) كفرد عادي ، ومن دون حاشية أو جنود . وأعلن دخوله اليها كمواطن روماني صديق ، فى ضيافة ملكة بطلمية مستقلة . وكانت ذكراه السابقة حسنة . إذ أنه لما زارها قبل هذا بأربعة عشر عاماً ، كان قد ساعد على العفو عن الأسرى البطلميين الذين وقعوا فى أسر يوليوس سيزار .

ويظن شكسبير أن سعادة كليوبطرة خلال زيارة مارك أنطوني للأسكندرية «لم تكن مكتملة» . ويقول أن شبح زوجته فولڤيا ، فى روما ، كان يخيم عليها ! . وليس هناك دليلاً واحداً على هذا الظن . فأن من يتابع سيرة كليوبطرة ، يجد نفسه أمام إمرأة حكيمة ، يسيطر فيها العقل على الجسد والعواطف . وقد كانت تعلم أن رجلاً مثل مارك أنطوني ، لم يكن يستطيع الزواج بغير رومانية . وأنه اذا فعل غير هذا ، فاأه لن يستطيع الأحتفاظ بمركزه ، أو العودة بعد ذلك إلى روما . وهو ما لم تكن تقبله منه كليوبطرة «فى هذا الوقت» . وعلى العكس ، ليس

أسرة كليوبطرة

كليوبطرة ٥ بطليموس ١٢ نيوس

تريفينا = دايونيساس

أوليتيس

(٨٠ / ٥٨

د ٥٥ / ٥١ ق م)

كليوبطرة ٦ || بيرنيس ٤ || أرسينوه ٤ || بطليموس ١٣ || بطليموس ١٤

تريفينا (٥٨ / ٥٥ ق م) (٤٨ / ٤٧ ق م) (٥١ / ٤٧ ق م) (٤٧ / ٤٤ ق م)

(٥٨ / ٥٧ ق م)

كليوبطرة ٧

يوليوس سيزار ــــ (٥١ / ٤٩ ق م) ــــ مارك أنطونيو

(د ٤٨ / ٣٠ ق م)

بطليموس سيزار || الكسندر هليوس || كليوبطرة سيليني || بطليموس فيلاديلفوس

/٣٠ ق م) (٤٠ ق م / ؟) (٤٠ ق م / ؟) (٣٦ ق م / ؟)

أدل على صفاء الجو بينهما ، من أن كليوبطرة قد حملت من مارك أنطوني خلال هذه الزيارة فى توأميها الأولين منه !

* * *

وفى فبراير عام ٤٠ ق م ، جاءت مارك أنطوني الأخبار ، أن البارثينيين الذين كان ينوي مهاجمة امبراطوريتهم ، لم ينتظروا هجومه . وأنهم لما وجدوا فلول قوات كازيوس وبروتس الرومانية ، التى قاومت يوليوس سيزار ، قد أنضمت اليهم . هاجم ابن ملك بارثيا أوروديس ، والمسمى باكوراس ، المقاطعات الرومانية فى سوريا . وتقدم جيش كبير آخر لهم ، وعلى رأسه القائد الروماني السابق لايبياس ، الى آسيا الصغرى .

وقد أسرع مارك أنطوني الى سوريا . فوجد الأحوال فيها سيئة ، والبارثينيون يتقدمون فى أنحائها . والأغريق والآسيويون يرحبون بهم . وذهب الى آسيا الصغرى . فسمع أخباراً أخرى أشد ازعاجاً . فأن زوجته، فولفيا ، وشقيقه ، لوشبيوس ، قد طالبا أوكتافيوس بأن يسلمهما أرضاً لمائة ألف جندي مسرح من جنود مارك أنطوني . فلما ماطلهما ، دبرا انقلاباً ضده . ولكن الانقلاب فشل . وهزم جيشهما عند بورجيا ، فى شمالي إيطاليا . وهربت زوجة مارك أنطوني ، فولفيا ، إلى الشرق . ووقع شقيقه ، لوشبيوس ، فى أيدى قوات أوكتافيوس .

فترك مارك أنطوني ميدان القتال فى آسيا الصغرى ، وذهب لملاقاة زوجته فولفيا فى أثينا . وقد لامها بشدة على عملها . حتى مرضت . وتركته إلى سكيون . حيث ماتت هناك .

وأما مارك أنطوني ، فقد ذهب الى ايطاليا ، وتزعم جنوده فى مقاتلة

جنود أوكتافيوس . ثم تصالح معه فى أكتوبر من ذلك العام . وعقدا معاً معاهدة برنديزى ، التى نصت على استمرار تعاونهما فى حكم الأمبراطورية الرومانية خمسة أعوام أخرى . وكللا هذا الأتفاق بزواج مارك أنطوني من أوكتافيوس ، شقيقة أوكتافيوس وكان لها من زوجها الأول، الذى لم يكن قد انقضى على وفاته سوى ثلاثة شهور ، ثلاثة أبناء . وقد أقتضى الأمر استصدار استثناء روماني لها بالزواج من مارك أنطوني ، قبل انقضاء وقت كاف على وفاة زوجها الأول .

وكانت أوكتافيا صغيرة ، وجميلة ، ومحبة للعلماء والفلاسفة . وقيل أنها كانت تلميذة للفيلسوف والرياضي الروماني فيتروفياس Vitruvius وصديقة للفيلسوف والسياسى والشاعر ميساناس Messanas . وقد نظم ميساناس ، بمناسبة هذا الزواج ، قصيدة شهيرة ، أمتدح فيها شعر أوكتافيا «الطبيعى» . معرضاً فى قصيدته بالشعر المستعار الذى أشتهرت به غريمتها فى حب مارك أنطوني : كليوبطرة ! .

ويلاحظ أن مارك أنطوني لم ير كليوبطرة طوال السنوات الثلاثة التالية ، أى حتى عام ٣٧ ق م . ولكنها لما أستشعرت غيابه ، أرسلت له أحد منجميها ، لأسداء نصائحه ، أو نصائح كليوبطرة ، اليه . وكانت كليوبطرة قد وضعت ، في نهاية عام ٤٠ ق م ، توأمين . أعلنت للملأ أنهما إبنا مارك أنطوني . وقد أسمتهما : الكسندر هليوس (الشمس) وكليوبطرة سيلين (القمر) . والشمس هى صورة الآله رع ، كبير آلهة مصر ، وأب الفراعنة . وكان الاغريق يقولون أن الشمس والقمر توأمان . ويتفاءلون بهما فى الحروب .

انفصال مارك أنطوني وأوكتافيا

دخل البارثينيون سوريا وفلسطين فى عام ٤٠ ق م ، وأحتلوا مملكة اليهود . ونحوا الملك اليهودي هيركاتوس الثاني ، ونائبيه فاسيال وهيرود . وقد قتل النائب الأول ، فاسيال . وهرب الثاني ، هيرود ، إلى مصر . ثم ولى البارثينيون انتيجوناس ملكاً على اليهود . وحاولوا استمالة كليوبطرة ، فأرسلوا اليها الرسل الذين وعدوها وعوداً مختلفة .

ولكن كليوبطرة رفضت كل تعاون معهم . وأستقبلت هيرود فى الأسكندرية ، بعد نفيه من فلسطين ، أحسن استقبال . وكان فى الثلاثين من عمره . جميلاً . ويافعاً . ويلاحظ أنها كانت فى مثل عمره . وقد عرضت عليه أن يصبح أحد قواد جيشها . ولكنه فضل الذهاب إلى روما ، لأستنفاز الرومانيين لمساعدته . وقد أعطته كليوبطرة سفينة حربية ، أستقلها حتى جزيرة رودس . ثم تركها ، وأتخذ طريقه إلى العاصمة الرومانية بسفينة أخرى . وهناك ثبته مارك أنطوني ملكاً على اليهودية . ووعده بأن يستعيد له مملكته من البارثينيين .

وفى ربيع عام ٣٩ ق م ، أغار البومبيون ، وعلى رأسهم سيكتس بومبياس ، على جزيرتي سردينيا وصقلية ، وأحتلوهما . وكانت صقلية

وقتها أحد المصادر الرئيسية للقمح الروماني . وقد حاول مارك أنطوني وأوكتاڤيوس أن يهادنا بومبياس ، بتقديم التنازلات له . فتركا له الجزيرتين اللتين أحتلتهما قواته ، بالإضافة إلى جزيرة كورسيكا . ووعده مارك أنطوني بأن يسلمه قاعدة حربية فى جزر البيلوبونيز . ولكنه ماطله بعد ذلك . ورفض تسليمه القاعدة التى وعده بها .

وعندما عاود بومبياس غاراته على ايطاليا ، طلق أوكتاڤيوس زوجته، سكريبونا . وكانت قريبة لبومبياس . وتزوج فى عام ٣٨ ق م من سيدة رومانية ، ارستقراطية وجميلة ، هى ليفيا دروسيلا .

وقد سبق أن ذكرنا أن منبت مارك أنطوني الأرستقراطى ، كان أحد العوامل المؤثرة في ترجيح كفته فى روما على أوكتاڤيوس . حتى عينه السينات خلال زيارته الأخيرة لها ، كاهناً أعظم لديانة يوليوس سيزار . وليس من شك أن أوكتاڤيوس قد أراد بزواجه من ليفيا دروسيلا ، أن يبلغ فى نفوس الطبقات العليا والحاكمة فى روما نفس مقام مارك أنطوني عندها .

وقد ولدت أوكتاڤيا فى أغسطس عام ٣٨ ق م لمارك أنطوني ابنته الأولى منها : أنطونيا . وفى الشهر التالي ، بارح ثلاثتهم ايطاليا إلى أثينا لتمضية أشهر الشتاء .

* * *

وقد جعل مارك أنطوني من أثينا قاعدة له طوال الشهور الثمانية عشرة التالية . وقيل أن حياته فيها ، مع زوجته الجديدة ، أوكتاڤيا ،

كانت مثالاً للحياة الزوجية السعيدة . وللسعي الفكري والروحي ، مع الفلاسفة والعلماء والأدباء الأغريق . وقد تزوج من أوكتافيا ، مرة أخرى، زواجاً مقدساً أثينيا . وحاول الأثينيون أن يطابقوا فى آدابهم وأشعارهم بين صورتها وصورة ربة المدينة .

وبينما مارك أنطوني ينعم بحياته السهلة والجميلة فى أثينا ، أرسل قواده الرومانيين على رأس جيوشه ، لمحاربة البارثينيين . وقد أستطاع قائده فينتديوس أن يطرد لابينياس من آسيا الصغرى . وأن يهزم ، فى يونية من العام التالى، ٣٨ ق م، أبن ملك بارثيا: باكوراس، فى سوريا .

ولكن فينتديوس أخذ يفرض الأتاوات على المدن والقرى التى دخلها . فمن يدفع ، حفظ جسده وروحه وعائلته وماله . ومن لم يدفع ، قتل وأستعبد وسبي ودمر ونهب ! .

وقد أضطر مارك أنطوني إلى أن يترك أثينا ، وأن يلحق بقائده فى سوريا ، وأن ينحيه .

ثم أستنجد أوركتافيوس بمارك أنطوني . فقد كان يجد صعوبات كبيرة فى حربه مع سيكتس بومبياس . وقد ذهب مارك أنطونى لنجدة أوكتافيوس ، فى المكان الذى حدده ، وهو برنديزى . ولكن أوكتافيوس وجد الأمور قد تحسنت ، فلم يذهب إلى لقائه . ثم ساءت أحواله مرة أخرى ، ودعا أوكتافيوس مارك أنطوني إلى لقاء جديد فى تارنتو . وقد ذهب مارك أنطونى إلى لقاء تارنتو ومعه ٣٠٠ سفينة حربية . وأتفق مع أوكتافيوس على أن يأخذ ١٢٠ سفينة منها ، على أن يقدم له ٢٠٠٠٠

جندي ، يحارب بهم مارك أنطوني البارثينيين .

كذلك أتفق مارك أنطوني وأوكتاڤيوس على أن يتزوج أبن الأول (من فولفيا) ابنة الثانى : أوكتافيان . ولم يكن عمر أبنة أوكتاڤيوس قد جاوز العامين .

ويلاحظ أن هذين الشرطين الأخيرين لم ينفذا . فأن أوكتاڤيوس ، بعد أن تسلم السفن المائة والعشرين ، لم يرسل الجنود التى وعد بها مارك أنطوني . كذلك لم يتم زواج ابن مارك أنطوني بأبنة أوكتاڤيوس : أوكتافيان بعد ذلك.

ثم توقف مارك أنطوني وزوجته أوكتاڤيا ، فى طريق عودتهما من ايطاليا ، فى كورفو . وكانت أوكتاڤيا حاملاً . ومتعبة ، وقيل أنها ومارك أنطوني قد أتفقا على أن تعود إلى روما ، لتعهد أطفالها منه ومن زوجيها السابقين . وقيل أن مارك أنطوني قد أرادها أن ترعى شئونه السياسية هناك ، خصوصاً وأنه كان قد أزمع الأنشغال طوال الشهور التالية فى محاربة البارثينيين . وكان يحب أن يطمئن إلى سير أموره فى روما . وقيل أن السبب الحقيقي هو اختلافه معها بسبب عدم تسليم شقيقها أوكتاڤيوس له الجنود الذين وعده بهم .

ومهما كان الأمر ، فان انفصالهما فى كورفو ، كان نهاية حياة مارك أنطوني الزوجية القصيرة مع أوكتافيا . ومع أنها قد توجهت اليه بعد ذلك بعام فى أثينا ، فانه لم يجتمع بها فيها . ولم تعد الأمور بينهما قط إلى ما كانت تحب .

هزيمة مارك أنطوني أمام الميديين والأرمنيين

كتب مارك أنطوني ، وهو فى طريقه من اليونان إلى سوريا ، إلى كليوبطرة . كى توافيه فى أنطاكية . ولم تكن قد رأته ، كما ذكرنا ، طوال ثلاثة أعوام .

وليس من شك ، أنها عندما ذهبت اليه هناك ، وقضت شتاء ذلك العام بأكمله معه ، قد وجدت مواضيع كثيرة تتحدث فيها اليه . الى جانب مواضيع المساعدات المالية والعسكرية التى طالبها بها .

وقد أستطاعت كليوبطرة أن توسع ، خلال محادثاتها معه ، حدود مملكتها . حتى لم تعد تقل كثيراً عن الحدود البطلمية الأولى ، التى تمتعت بها تلك المملكة وقت إزدهارها فى القرن الرابع قبل الميلاد . فأمتدت مملكة كليوبطرة على سواحل البحر الأبيض المتوسط حتى جبل الكرمل فى لبنان . وشملت بعض أنحاء آسيا الصغرى . والمناطق الداخلية الواقعة حول سواحل سوريا وفلسطين ، بما فى هذا دمشق وبعلبك . وبأستثناء صور وصيدا ، اللتين أحتفظتا باستقلالهما .

ومع أن كليوبطرة كانت تريد ضم مملكة اليهود إلى مملكتها ، فان مارك أنطوني قد رفض هذا ، بدعوى حاجته لليهود فى معركته المقبلة مع البارثينيين . وان كان قد سلمها فى النهاية جزءاً من المدن اليهودية العشرة التى كانت تقع بين اسرائيل وشرقي الأردن . وجميع موانئ تلك

المملكة البحرية ، ما عدا غزة وعسكلون ، اللتين بقيتا مستقلتين .

وأما هيرود ، فقد أستمر ملكاً على المملكة اليهودية . وقد جعل القدس عاصمته . وأستعان بقائده جابوس سوسياس لإدارة شئون مملكته.

ولكن الود ، بين كليوبطرة وهيرود ، كان قد أختفى تماماً . بل وأصبحا عدوين سافرين . ومع أن كليوبطرة قد أستعانت بهيرود لادارة مزارع النخيل والبلسم فى فلسطين (ويقال أنها قد نقلت فى هذا الوقت زراعة البلسم منها إلى عين شمس) . وأعطت هيرود حق استغلال مناجم البيتيومن فى شرقي الأردن ، فقد أصبح كل منهما يتربص بالآخر ، ويتحين الفرص للقضاء عليه .

ويلاحظ أن بعض مناطق فلسطين وسوريا ، التى سمح مارك أنطوني بضمها إلى مملكة كليوبطرة ، كانت تؤلف أجزاء من صميم الأمبراطورية الرومانية . وكان من الواجب على مارك أنطوني أن يستشير السينات الروماني، قبل أن يضمها إلى مملكة كليوبطرة. ولكنه لم يفعل . وقد أثار بهذا ثورة السينات، وغضب الرومانيين عليه، وكراهيتهم لكليوبطرة.

* * *

وعندما هزم القائد الروماني فينتديوس ، باكوراس ، ابن ملك بارثيا أورروديس ، فى عام ٣٨ ق م ، تنحى أورروديس عن عرشه . وخلفه فيه ابنه فراتيس الرابع . وقد حاول الملك الجديد أن يرسى قواعد حكمه، وأن يوطد أمنه فقتل والده ، وثلاثين من اخوته ! . وأدى هذا إلى أن يهرب بعض زعماء بارثيا، وعلى رأسهم موناسيس، إلى صفوف مارك أنطوني.

وكان موناسيس حاكماً على الأقاليم الغربية فى امبراطورية البارثيين ، وقائداً عاماً لجيوش الملك السابق أوروديس . وقد كافأه مارك أنطونى بتثبيته حاكماً فوق أقاليمه . ووعده بأن يجعله ملكاً على بارثيا بعد انتصاره عليها .

وكان مارك أنطوني يريد غزو بارثيا من حدودها الشمالية . ولهذا رتب لغزو أرمينيا وميديا . وفكر فى الأستعانة بجيشها فى هجومه الأخير على البارثيين . ولكن مارك أنطوني لم يتحرك بجيشه الى أرمينيا ، حتى مايو عام ٣٦ ق م . ويقال أن السبب فى هذا هو ملازمته كليوبطرة فى أنطاكية ! .

ومع أن موناسيس كان قد أتفق مع ملك أرمينيا ، أرتافاساديس ، على أن تتجمع جيوشهما معاً لمقاتلة الميديين . فأن أرتافاساديس باغت جيش مارك انطوني بالهجوم . حتى أضطر مارك انطوني لمقاتلته ، ودخل عاصمته أرزيروم ، منتصراً .

ولما كان الوقت قد أخذ يمضى بمارك أنطوني ، فقد تقدم بعد ذلك بسرعة على رأس نصف جيشه الى ميديا . وترك النصف الآخر لكي يلحقه . وكان مع هذا القسم الثاني أهم رماة جيشه . ولكن الأرمنيين هاجموا هذا النصف الثانى ، خلال تقدمه البطئ عبر بلادهم . وأحتار مارك أنطوني ، وهو واقف على أبواب العاصمة الميدية فيما يفعله . ثم حل عليه ، فى أكتوبر ، الشتاء . وأضطر أن يعود بقواته المنهكة عبر أرمينيا الي سوريا . ملاقياً مع جنوده ، الى جانب ويلات الطبيعة ،

هجوم الميديين والارمنيين عليهم ..

وعندما بلغ مارك أنطوني الساحل الفينيقي ، كان متعباً وحزيناً . وقد أرسل يستدعى اليه كليوبطرة . وكانت حزينة على هزيمته . ولكن حضورها اليه ، فى يناير عام ٣٥ ق م ، أصاب رجاله بالحنق والغضب . وظنوا أن مارك أنطونى قد تسرع بالعودة من أرمينيا ، خلال الشتاء ، ملاقياً ما لا قى من أهوال ، من أجل لقاء كليوبطرة ! . والحقيقة هى أن مارك أنطوني كان يحتاج إلى أموال وامدادات جديدة ، لمواصلة حربه مع البارثينيين . ولم يكن أقدر على تقديمها له من كليوبطرة .

ومع ذلك ، فان كليوبطرة قد أرادت أن تظهر حنقها ، وعدم رضائها عنه . فلم تقدم له الا أموالاً قليلة . وقيل أن مارك أنطوني قد تظاهر أمام رجاله بأنها قد قدمت له كل ما طلب . وأخذ يوزع عليهم من ماله ، مدعياً أن كليوبطرة قد أحضرته اليه ! .

وجدير بالذكر أن هزيمة مارك أنطوني أمام الميديين والأرمنيين ، قد صورت فى خطاباته لروما كأنتصار كبير . فأقيمت الصلوات والأحتفالات . وسكت النقود لتخليد ذكراها ! .

وكان أوكتافيوس قد أحرز انتصارات كبيرة على بومبياس . ونجح قائده أجريبا ، فى سبتمبر عام ٣٦ ق م ، فى القضاء على اسطول الأخير فى فينتيكو . وقد دعا هذا أوكتافيوس الى عزل بومبياس من عضوية «التريمفيرا» من دون استشارة مارك أنطوني . وقصر زعامة الأمبراطورية الرومانية عليهما وحدهما .

لقـاء كليوبطرة وهيـــرود

سمع مارك أنطوني فى ربيع عام ٣٥ ق م ، أن زوجته أوكتافيا قد تركت روما للحاق به . وأن معها امدادات وملابس لجنوده . و ٧٠ سفينة باقية من سفنه المائة والعشرين التى كان قد سلمها لاوكتافيوس و ٢٠٠٠ جندى رومانى متمرس .

وكانت أوكتافيا قد أنجبت له ، قبل مبارحتها روما ، ابنته الثانية منه .

وكانت كليوبطرة معه ، عندما جاءتهما هذه الأخبار . ويقال أنها قد حرضته على ألا يقبل ما حملته له زوجته . ويقال أيضاً أن «المنجم البطلمى» الذى ذكرنا أن كليوبطرة كانت قد أرسلته له ، كان يحذر مارك أنطوني على الدوام ، من الأخطار التى تتحدث بها النجوم ، وستأتيه عن طريق أوكتافيوس ! .

وقد كتب مارك انطوني من سوريا ، لأوكتافيا ، بأن ترسل له ما تحمله . وبأن تعود من فورها إلى روما لرعاية شئو، ن أطفالها وشئونه السياسية هناك ! .

وعندما أطاعت أوكتافيا زوجها ، وعادت الى روما ، غضب شقيقها أوكتافيوس غضباً شديداً . وأستغل موقف مارك أنطوني من شقيقته

استغلالاً مسيئاً له . ومع ذلك ، فان أوكتافيا لم تفتح فمها بكلمة ضد زوجها . وانما لازمت منزلها ، ووجهت همها لرعاية شئون أطفالها . وعملت كل ما تستطيعه لخدمة قضية مارك انطوني السياسية .

وقد لاحظ بلوتارخ ، أنها بموقفها المسئول والنبيل هذا ، قد أساءت الى مارك أنطوني ، بأكثر مما كانت تسيء له ، لو أقامت الدنيا وأقعدتها على ما أصابها منه !

* * *

وقد قصد مارك أنطوني فى ربيع عام ٣٥ ق م إلى الأسكندرية . فبقى مع كليوبطرة فيها شهوراً . ثم توجها معاً إلى أنطاكية . وقد حاولت كليوبطرة ، خلال هذه الشهور ، أن توغر صدر مارك انطوني على ملك اليهود هيرود . وأن تتوسل بكل ما لديها من وسائل ، الى ضم مملكته إلى مملكتها .

وكان هيرود قد تزوج فى عام ٣٧ ق م من احدى أميرات عائلة المكابي ، التى سبقته فى حكم اليهودية . وقد جعل شقيقها أريستوبولوس، والبالغ من العمر ١٦ عاماً ، قساً أعظم للملكة . ولكنه أختلف معه بعد ذلك ، وخلعه عن وظيفته . وكانت والدة أريستوبولوس، ألكسندرا ، تعرف كليوبطرة . وقد كتبت لها كى تتوسط لأبنها عند مارك أنطوني كى يعيده إلى وظيفته .

وقد نجحت كليوبطرة فى مسعاها . وأرغم مارك أنطوني هيرود على اعادة أريستوبولوس إلى وظيفته . ولكن هيرود أخذ يضايق

أريستوبولوس ، ويضايق أمه ألكسندرا ، حتى حاولا أن يفرا داخل صندوقين للموتى إلى مصر ! ولكن هيرود كشف حيلتهما . وأغرق أريستوبولوس خلال استحمامه فى قصره . وكتبت ألكسندرا خطاباً جديداً لكليوبطرة ، تستنجد بها من الأنتقام الذى يعده لها هيرود .

وقد جعلت كليوبطرة مارك أنطونيى ، يرسل فى طلب هيرود . ولكنه عندما جاء، لم يبطش به ، كما أرادت كليوبطرة ، وأكتفى بتأنيبه . ونزع عن مملكته ميناء غزة ، وضم هذا الميناء الهام إلى مملكة كليوبطرة . وليس من شك ، أن كليوبطرة قد حاولت بعد ذلك التضييق على هيرود . وحرضت عليه معاونيه . وشجعت الدعاوى الأنفصالية فى مملكته . خصوصاً تلك التى قام بها كريستوباروس بعد ذلك بأعوام .

* * *

وكان ثالث «التريغفيرا» ، سيكتس بومبياس ، قد لجأ بعد هزيمته من أوكتافيوس فى صقلية ، الى بعض جزر البحر الأيجي . وقد حاول أن يتصل بالبارثينيين لمساعدته ضد زميليه السابقين . وعرف هذا مارك أنطوني فأرسل له قائده تيتيوس للقبض عليه . ولكن تيتيوس بعد ما ظفر به ، قتله . وقد أثار هذا ثائرة روما ، وألقت جماهيرها اللوم على مارك أنطوني ، وإن كان الأخير قد لام تيتيوس على هذا العمل .

وقد أخرت حادثة سيكتس بومبياس ، خروج مارك أنطوني على رأس جيشه لقتال البارثينيين . وكان ملك ميديا ، أرتافاسيديس ، قد أختلف مع ملك بارثيا ، فراتيس . ووعد مارك أنطوني بمساعدته فى محاربة

الأخير . وقد كُلل الاتفاق بينهما ، بخطوبة ابن مارك أنطوني وكليوبطرة، الكسندر هليوس ، من ابنة أرتافاسيدس .

وفى ربيع عام ٣٤ ق م ، ترك مارك أنطوني كليوبطرة فى سوريا ، وتقدم على رأس جيشه إلى المملكة الأرمنية . وعندما أسرع اليه ملكها ، أرتافاسيديس ، راجياً التفاهم معه ، طالبه مارك أنطوني بتسليمه كنوزه. وقد وافقه الملك الأرمني على ذلك . ولكن قواد جيشه رفضوا تسليمها لمارك أنطوني ، وأستمروا فى مقاومة جنوده . وعندما هزموا ، لجأت فلولهم إلى البارثينيين .

وحينئذ قبض مارك أنطوني على الملك الأرمني أرتافاسيديس ، وأرسله مع زوجته وأولادهما وجزءاً كبيراً من ثروته الى الاسكندرية . وقد ترك موضوع زواج أبنه ، الكسندر هليوس ، من ابنة الملك الأرمني ، وأخذ يفكر فى مشروع آخر لزواجه من ابنة ملك ميديا . وكان هذا الملك قد أنضم اليه فى محاربة البارثينيين . ولكن جيوشهما لم تستطع مع ذلك أن تلحق الهزيمة القاصمة بجيوش بارثيا . وأضطر مارك أنطوني إلى ترك هذه المملكة بعد ذلك . ولم يعد يفكر فيها .

***

عندما ترك مارك أنطونى كليوبطرة فى سوريا ، وذهب لمحاربة الارمنيين والميديين والبارثينيين ، على ما وصفنا . زارت كليوبطرة فى طريق عودتها إلى الأسكندرية بعض المدن السورية ، وعلى رأسها دمشق . ثم عرجت على مملكة هيرود اليهودية .

وقد تظاهرت كليوبطرة ، وتظاهر هيرود ، بالسعادة والحبور لهذا اللقاء الثاني لهما . بعد زيارة هيرود السابقة للأسكندرية ، عندما طرده البارثينيون من مملكته فى عام ٤٠ ق م . وقد أستقبلها الملك اليهودي فى قصره ، أنطونيا ، بالقدس ، بكل مظاهر الود والخضوع .

وجدير بالذكر أن كليوبطرة كانت تتحدث مع هيرود بالعبرية التى عرفتها تماماً . وأنها كانت تتحدث مع مارك أنطوني وغيره بالرومانية واليونانية . وقيل أنها قد عرفت ، الى جانب هذه اللغات الثلاث (وعلى عكس الملوك البطالمة الذين لم يكونوا يجيدون اللغات الأجنبية) . ١٠ لغات أخرى ، من بينها المصرية والأمهرية والأرمنية والميدية .

يقول المؤرخ اليهودي چوزيفس ، نقلاً عن مذكرات هيرود :

« وقد أنتهزت كليوبطرة فرصة لقائها بالملك هيرود ، كي تحاول خلق علاقة حميمة لها معه . لأنها كانت بالطبيعة عبدة هذه اللذة ، تجاهر بها فى العلن ومن دون خفاء . ومع ذلك ، فربما شعرت كليوبطرة بعاطفة قوية ناحية هيرود . وربما (وهذا أكثر احتمالا) أرادت الأيقاع به ، والتخلص منه بالعنف ، خلال محاولته الأتصال بها (!) .

« وبالأختصار ، فقد أعطت كليوبطرة لهيرود الأطباع بأن عواطفها نحوه قد غلبتها . ولكن عواطف هيرود ، كانت بعيدة منذ زمن طويل ، عن الميل لكليوبطرة ، بسبب ما ذاع عنها من سوء خلق . ولهذا ، فقد أعتبر دعوتها اليه ، مدعاة لأحتقاره . وآلى على نفسه ، اذا كانت قد بيتت له غدراً ، أن يغدر بها قبل أن تغدر به (!) .

« ولهذا تجاهل هيرود دعوة كليوبطرة اليه . ولجأ الى أصدقائه ، يستخلص منهم آراءهم ونصائحهم . فسألهم عما اذا كان يستطيع قتلها وهى فى حوزته . وذكر أنه اذا ما فعل ، فانه سيخلص الكثيرين من شرورها في المستقبل . وحتى مارك أنطوني ، فانه سيخلصه ممن لا يضمر له ولاء ، مما سيكتشفه فى يوم آت (!) .

« ولكن أصدقاء هيرود منعوه عن ذلك . وقالوا له : ان الأمر لا يحتاج الى كل هذا . وأنه يجب أن يعامل كليوبطرة بالهدوء والصبر . وأن مارك أنطوني لن يغفر له ما قد يفعله بها . بل أن حبه لكليوبطرة سيشتعل ناراً وثورة ، اذا ما عرف أنه قد حرم منها بالقوة أو بالخيانة . وحينئذ تصيبه هو وأسرته وشعبه الويلات . وبهذه النصائح ، وكثير غيرها ، أبعدوه عن تنفيذ خطته » ! .

ويقول چوزيفوس ، أن هيرود بدلاً من أن يضاجع كليوبطرة أو يقتلها ، قد حملها هدايا كثيرة . وذهب يودعها ، هو وأشراف دولته ، حتى حدود بلادها .

كليوبطرة ملكــة للمــلوك

عندما عاد مارك أنطوني الى الأسكندرية ، بعد انتصاره على البارثينيين ، فى خريف عام ٣٤ ق م أستقبلته كليوبطرة بالمواكب والأحتفالات ، ووزعت النقود والأطعمة على الفقراء، وسار الأسرى الأرمنيون والبارثينيون فى شوارع الأسكندرية . يحفهم جنود مارك أنطوني ، الذين حملوا بعض ما أحضروه معهم من كنوز تلك البلاد

ثم أقيم فى استاد الأسكندرية حفل كبير تصدره مارك أنطوني وكليوبطرة . وقد جلسا على كرسيين عاليين وضع أسفلهما كرسى آخر ، جلس عليه بطليموس سيزار وكان عمره ثلاثة عشر عاماً ثم صفت ثلاثة كراسي أصغر ، جلس عليها الكسندر هليوس (فى ملابس فارسية) وكليوبطرة سيلين. (وكانا فى السادسة) وبطليموس فيلاديلفوس، فى ملابس مقدونية (وكان فى الثانية من عمره)

وقد لاحظ المؤرخ الأغريقي باتركيوليس Paterculus أن مارك أنطوني ، جعل نفسه فى صورة الآله الأغريقي الأكبر دايونيساس (باخوس عند الرومانيين) آله المرح والشراب والنصر وقد أحاط رأسه بأكليل على صورة اكليل ذلك الآله وأرتدى ثوباً أصفراً ومذهباً بينما ظهرت كليوبطرة فى صورة ايزيس / أفروديت ، عند المصريين والأغريق

وقد ألقى مارك أنطونس خطاباً هاماً ، عرف بأسم «وصية الأسكندرية» أعلن فيه تنصيب الكسندر هليوس ملكاً على أرمينيا وميديا . و «جميع الأراضى خلف الفرات وحتى الهند» . وكان هذا يعني ضم ممالك ارمينيا وميديا وبارثيا بأكملها الى المملكة البطلمية تحت رئاسته . ولم يكن مارك أنطوني قد هزم ، على ما ذكرنا ، مملكة بارثيا، هزيمة نهائية .

كذلك نصب مارك أنطوني بطليموس فيلاديلفوس ملكاً على ممتلكات البطالمة فى اليونان وآسيا الصغرى وسوريا . ونصب كليوبطرة سيلين ملكة على ليبيا وجزيرة كريت . وكان قد حصل لها على موافقة أوكتافيوس على ذلك .

وأما بطليموس سيزار ، فقد أصبح ملك الملوك . ولكن رتبته كانت أقل قليلاً من رتبة والدته ، كليوبطرة : ملكة الملوك . وقد قيل أن مارك أنطوني ، حين رفع بطليموس سيزار الى هذه المرتبة العالية ، قد أعترف ببنوته ليوليوس سيزار . وأنه حين لم يخصه بمملكة خاصة ، قد أراد أن يبقيه حراً لمهمة أكبر وأرفع من مهام اخوته ! . أى جعله امبراطوراً على روما ! .

وقيل أيضاً ، انه فى تنصيبه لأبنائه من كليوبطرة على الممالك والممتلكات الرومانية ، قد أعترف بزواجه منها ، وببنوة أبنائهما له . ولكن هذا الزواج لم يكن كزواجه من كولبرينا الرومانية «زواجاً بشرياً ، وانما كان زواجاً آلهياً» ! . زواج ايزيس بأوزيريس ! . وأفروديت

بدايونيساس ! .

وجدير بالذكر ، أن «وصية الأسكندرية» لم تتسع لذكر ابن مارك أنطوني من فولفيا : ماركوس أنطونيوس ، والملقب بأنتيلوس . وكان له من العمر وقتها عشرة أعوام . ولكن انتيلوس استمر مع ذلك الوريث الشرعي الوحيد لمارك أنطوني حسب القانون الروماني .

وقد كتب الشاعر اليوناني السكندري ، كونستانتين كفافي ، بعد اعلان «وصية الاسكندرية» بتسعة عشر قرناً :

« تجمع السكندريون
ليروا أبناء كليوبطرة
سيزاريون ، وأخوته الصغار
الكسندر وبطليموس ، الذين ذهبوا
للمرة الأولى الى الجمنازيوم
كى يتوجوا ملوكاً
وسط استعراضات الجنود ..

« وكان السكندريون يوقنون
أن كل هذه سفسطة وخيلاء
ولكن اليوم كان دافئاً وجليلاً
والسماء زرقاء وصافية
والاسكندرية كلها فى الجمنازيوم تحتفل
والبلاط فى أبهى حلله .

وكان سيزاريون جميلاً وعظيماً :
ابن كليوبطرة ، وحامل دماء اللاجيديين .
« وقد هرع السكندريون لمشاهدة الأحتفال
وتحمسوا ، وصفقوا ،
باليونانية ، والمصرية ، وبعضهم بالعبرية
مسحورين بالمنظر الخلاب
مع انهم كانوا يوقنون بأنها كلمات
لن يحقق من ورائها الأطفال الا السراب » .

* * *

وعندما بلغت أخبار احتفالات الأسكندرية روما ، أثارت الحيرة والقلق . وتساءل الرومانيون : لماذا تقام هذه الأحتفالات فى الأسكندرية، بدلا من روما ؟ . ولماذا يظهر فيها مارك أنطوني كآله أغريقي بدلاً من روماني ؟! .

وأما فقراء المدينة فقد تعالت همهماتهم . فقد كانوا أحق ، كما قالوا، بما وزع خلال ذلك الحفل من أموال وأطعمة ! .

* * *

وجدير بالذكر أن بعض المورخين ، قد نظر الى «وصية الاسكندرية» كبداية نهاية مارك أنطوني . ونقطة التحول ، التى بدأت عندها كفة أوكتاڤيوس ، عند الرومانيين ، ترجح كفة مارك أنطونى ، فى سباقهما نحو القيصرية .

مارك أنطوني يخسر تعاطف الرومانيين

فى نوفمبر عام ٣٤ ق م ، عاد أوكتافيوس من حربه الثانية الموفقة فى الأراضي اليوجوسلافية إلى روما . فسمع بأخبار «وصية الأسكندرية» . وقد سكت أسابيعاً . ثم أخذ ، منذ بداية عام ٣٣ ق م ، فى انتقاد مارك أنطوني علانية . وسمع مارك أنطوني وهو بالاسكندرية بأنتقادات أوكتافيوس . فكتب له خطابين : الأول رسمي مقتضب . والثاني طويل وصريح . وقد ذكر له فى الأخير أنه لم يبدد الأمبراطورية الرومانية «ثمناً للجسد الذى قدمته له كليوبطرة» . ونفى أنه تزوجها . و «غمز» أوكتافيوس ، فذكره بعشيقاته الكثيرات وأخطاءه التى لا حصر لها ! .

وقد انشغل أوكتافيوس بعد ذلك بحربه الثالثة فى شبه الجزيرة اليوجوسلافية . فلما عاد منها منتصراً ، وبدد إلى غير رجعة الأخطار التى كانت تتهدد الأمبراطورية الرومانية من شمالها الشرقى . أخذ يردد حربه الكلامية ضد مارك أنطوني بأشد مما كان يفعل . وأخذ أنصاره يقارنون بين صورة أوكتافيوس «المجلبة للحظ ، والنصر» وصورة مارك أنطوني ، الذى لم يتحقق من ورائه شيئاً لروما . ويذكرون الرومانيين بسوء صحبة الأخير ، وكسله . وإفراطه فى الشراب . وبأنه قد أهدى

أملاك الأمبراطورية لمن ضاجعهم ، من دون أخذ رأى السينات . وأستخدم الجنود الرومانيين لخدمة أطماع عشيقته البطلمية .

وبالطبع ، لم يسكت مارك أنطوني وأنصاره عن أوكتافيوس . وقد أخذوا يذكرون الرومانيين بأن أوكتافيوس لم يثبت فى حياته قدرة أو موهبة . وأن السبب الوحيد لوراثته ليوليوس سيزار ، هو قرابته له ، ومشاطرته له شذوذه ! ..

وفى أكتوبر عام ٣٣ ق م ، أرسل أوكتافيوس لمارك أنطونى رداً جافاً ومختصراً على اتهاماته . وكان مارك أنطوني قد خرج لصد هجوم البارثينيين الوشيك على أراضيه . فلما قرأ الرد ، شعر أن موقفه مع أوكتافيوس قد أوشك على الأنفجار . وأن الحل الوحيد لمنع الشقاق ، أو كسب الحرب اذا نشب القتال بينهما ، هو أن يكسب تأييد السينات له . وأن يجعل أعضاءه يوافقون على وصيته بالأسكندرية .

ولكن مارك أنطوني ، بدلاً من العمل بهذا التحليل الواقعي ، والتوجه إلى روما ، ذهب مع كليوبطرة إلى آسيا الصغرى . وأقام معسكره فى إيفسوس . ثم كتب للسينات خطاباً أبرز فيه أهمية إنتصاراته الحربية الأخيرة . والفوائد السياسية التى ستجنيها روما من وصيته بالأسكندرية . ثم عرض أن يتنازل ، هو وأوكتافيوس ، عن حقوقهما فى «التريمفيرا» . ويتركا الأمر بين يدي السينات .

ولكن السينات لم يتحرك . وعندما أنتهت فترة «التريمفيرا» ، فى نهاية عام ٣٣ ق م ، تظاهر أوكتافيوس ومارك أنطوني بالتنازل عن

سلطاتهما ، ولكنهما أستمرا فى الحقيقة فى مواقعهما يحكمان . بل أن الصراع بينهما أشتد . فأخذا يتنازعان أعضاء السينات فيما بينهما . ومن محاسن الصدف ، التى لم يحسن مارك أنطونى إستغلالها ، أن القنصلين الرومانيين الجديدين ، اللذين أنتخبهما السينات فى عام ٣٢ ق م كانا ، كلاهما ، من المؤيدين لمارك أنطوني . فان أولهما ، اهينو بارباس ، كان قد زوج ابنه من ابنة مارك أنطوني من أوكتافيا . والثاني، سوسيان ، كان أدميرالا بحرياً ، يميل الى كليوبطرة ، ويتفهم سياسة مارك أنطوني «الشرقية» .

وقد هاجم سوسياس ، فى فبراير عام ٣٣ ق م ، أوكتافيوس . وطالب السينات بسحب ثقته منه . ولكن أنصار أوكتافيوس فى السينات نجحوا فى منع بحث الاقتراح . ثم عاد أوكتافيوس الى روما بعد ذلك بأيام ، وألقى خطاباً قوياً أمام السينات ، هاجم فيه مارك أنطوني هجوماً شديداً وسافراً . وقد وعد فى ذلك الخطاب بتقديم مستندات هامة تدين مارك أنطوني . ولكنه لم يقدم بعد ذلك شيئاً .

والجدير بالذكر ، أن أوكتافيوس قد ألقي خطابه وسط حراسة من جنوده، فلم يستطع أحد معارضته . ولما كان مارك أنطوني غائباً عن روما، فان أنصاره لم يستطيعوا الصمود لأستبداد أوكتافيوس ، وأخذوا يتركون له المدينة . وقد ذهب حوالى ٢٠٠ منهم إلى معسكر مارك أنطوني فى إيفسوس ، يعلنونه بتأييدهم ! .

* * *

وفى يولية عام ٣٢ ق م ، أعلن مارك أنطوني طلاقه من زوجته أوكتافيا ، شقيقة أوكتافيوس . وبهذا أنقطعت جميع خيوط الود بين الزعيمين المتصارعين على سيادة الأمبراطورية الرومانية . وبلغا ، كلاهما ، نقطة اللا عودة في خصومته . وقد قيل أن كليوبطرة هى التى حرضت على هذه القطيعة . وقد زاطت لاعلائها . وانها كانت تتوقع انتصار مارك أنطوني على أوكتافيوس ، ثم زواجه منها . ولكن مارك أنطونى خسر تأييد الكثيرين من الرومانيين بسبب ذلك الطلاق . وأخذ عدد من أهم أنصاره يتركونه ، وينضمون إلى أوكتافيوس .

وكان من هؤلاء عضو السينات الرومانى بلاتكوس . الذى سارع الى روما ، وألقى خطاباً حافلاً فى السينات . كال فيه أتهامات لا حصر لها ، حقيقة وكاذبة ، لزعيمه السابق ، مارك أنطوني . حتى ذكره أحد الأعضاء : «أن أنطوني لابد قد أرتكب عدداً كبيراً جداً من الجرائم قبل أن تقرر أن تتخلى عنه» ! .

ثم أدعى بلاتكوس ، ومعه تبتيوس ، أن مارك أنطوني قد كتب وصيته ، وأودعها المكتب المختص بذلك فى روما . وقد ذهب أوكتافيوس إلى ذلك المكتب ، وطالب بالوصية . ولكن المسئول عن المكتب رفض تسليمه شيئاً . فأستولى عليها أوكتافيوس بالقوة . ثم أعلن للسينات بعد ذلك ، ما أسماه بمحتويات تلك الوصية . فقال ان مارك أنطوني قد أكد فيها أن بطليموس سيزار هو الأبن الشرعي ليوليوس سيزار . وأنه بالتالي وريثه الشرعي فى حكم روما . وأن أبناء

مارك أنطوني الثلاثة من كليوبطرة هم ورثته الشرعيون . وطالب بأن يدفن ، عندما يموت ، فى الأسكندرية ، وليس فى الفورام الروماني ! .

وقد أثارت هذه الوصية ، التى قرأها أوكتافيوس للسينات ، ولم يطلع أحد عليها ، جدلاً كبيراً . فأن أحداً لم يوقن من وجودها . وحتى بفرض وجودها ، فهل كانت هذه فعلاً هى نصوصها كما كتبها مارك أنطونى؟!

وليس من شك أن النصوص التى عرضها أوكتافيوس على الرومانيين، قد أحيت الغيرة والكراهية فى نفوسهم . وذكرتهم بمخاوفهم القديمة ، من نقل يوليوس سيزار لعاصمة امبراطوريتهم من روما الى الأسكندرية . ونيته الزواج بتلك الشيطانة والساحرة البطلمية ! .

فها هى كليوبطرة ، قد نجحت ، مرة أخرى ، فى كسب سيد الأمبراطورية الرومانية لقضيتها . وها هو يتبنى قضية بنوة أبنها الأكبر من يوليوس سيزار . وقد رسمت الخطط ، وأحكمت تنفيذها ، لتجريد روما من امبراطوريتها . ونقل عاصمة العالم القديم من روما الى الأسكندرية ! .

أخطاء مارك أنطوني قبل أكتيوم

طالب بعض أنصار مارك أنطونى ، بأبعاد كليوبطرة عن إيفسوس . وكان على رأس هؤلاء القنصل الروماني الذى أتينا على ذكره ، أهينو بارباس . فقد وجد أهينو بارباس أن وجودها هناك غير ضروري . وأنه يسئ الى قضية مارك أنطوني . ولكن قائد مارك أنطوني ، كانيديوس كراسوس ، ذكر الحاضرين من زعماء وقواد ، بتضحياتها الكثيرة ، وخبرتها الواسعة . وقال أنها لا تقل في شيء عن بقية الملوك والرؤساء الحاضرين . وقد أيد مارك أنطوني ما قاله قائده .

ولكن كليوبطرة أصرت ، فى هذه اللحظات الحرجة ، على أبعاد هيرود الى فلسطين . وتعللت بأنه قد تأخر فى جمع حقوقها المالية التى ألتزم بجمعها لها من عرب تلك البلاد . وكان هيرود قد جاء الى إيفسوس مع جنود أقوياء . ولكنه أضطر أمام الحاح كليوبطرة الى العودة بهم الى فلسطين .

وفى نهاية ابريل عام ٣٢ ق م ، ترك مارك أنطوني وكليوبطرة إيفسوس ، وذهبا الى جزيرة ساموس اليونانية . وقد أقاموا فيها احتفالات أدبية وموسيقية كثيرة . ثم ذهبوا فى الشهر التالي ، مايو

٣٢ ق م ، الى أثينا فبقيا فيها طوال الصيف . ووضعا تمثالاً لكليوبطرة في صورة ايزيس ، وبالملابس الاغريقية فى معبد الاكروبوليس .

وكان جيش مارك أنطوني قد أخذ يتجمع من أنحاء شرقي البحر الأبيض المتوسط فوق شبه الجزيرة اليونانية . وقد تألف هذ الجيش من ٧٥٠٠٠ جندي ، تنتظمهم ٣٠ فرقة . ويساعدهم ٢٥٠٠٠ من الرماة و ١٢٠٠٠ من الفرسان . وكان يؤازرهم ٥٠٠ سفينة حربية (نصفها لكليوبطرة) و ٣٠٠ سفينة تجارية . ولكن أكثر الجنود والبحارة كانوا قد جاءوا من اليونان وآسيا الصغرى وسوريا ومصر . فان انقطاع اتصال مارك أنطوني بايطاليا كان قد حرمه من تجنيد الرومانيين .

ويلاحظ أن الجنود والسفن والأموال كانت وفيرة فى أيدي مارك أنطوني . وأن أوكتافيوس كان يلاقى صعوبات كبيرة فى تجميع سفنه ، وإيجاد الأموال اللازمة لنفقاته . وكان قد فرض على الرومانيين ضرائب استثنائية ثقيلة لهذا الغرض . ومع ذلك ، فان جيشه لم يزد على ثلثي جيش مارك أنطوني . ولم يتجاوز عدد سفنه الأربعمائة سفينة .

وقد لاحظ بلوتارخ أن تأخر قيام الحرب قد أساء لمارك أنطوني . وأنه كان يجدر به أن يسرع بقواته المتفوقة عدداً وعدة على قوات أوكتافيوس، لمحاربته فى ايطاليا منذ عام ٣٢ ق م . بدلاً من أن ينتظره كي يهاجمه في اليونان فى عام ٣١ ق م . وقد أيد بلوتارخ فى هذا الأعتقاد الشاعر هوراس . الذى قال أن الأيطاليين كانوا فى ثورة على الضرائب التى فرضها أوكتافيوس . وكانوا يتوقعون هجوم أنصار مارك

أنطوني عليهم ، ويحسبون لهم ألف حساب .

وقد ذهب بعض المؤرخين الى أن تقاعس مارك أنطوني عن الهجوم على ايطاليا فى عام ٣٢ ق م ، قد سببته كليوبطرة ! . فان مارك أنطوني لم يكن يستطيع فى ذلك الوقت اصطحابها للقتال هناك ! . ولم يكن يريد أن يتركها خلفه ! . ولكن عدداً آخر منهم ، وجد أن مارك أنطوني لم يكن يستطيع نقل جنوده الكثيرين والمختلطين الى ايطاليا عبر موانيها المزدحمة ، ثم شق طريقه بهم الى روما .

ومهما كان الأمر ، فان مارك أنطوني قد أخطأ ولا شك ، بأختيار موقع معركته المقبلة مع أوكتافيوس . فانه لما نقل جنوده عبر البحر الأيبجى ، الى شبه الجزيرة اليونانية ، استدارت بهم سفنه حول جزر البيلوبونيز ، ووضعتهم على المواقع الجنوبية للطريق المقدونى : ايجناتيا . وقيل أن مارك أنطوني هو الذى أختار هذا الموقع بالذات ، كى يتسنى له أن يحمي منه الشواطئ المصرية ! .

وقد أمتد معسكر مارك أنطوني ، على البحر الأيبجى ، على مساحة تبلغ حوالى مائة ميل جنوبي الطريق المقدوني . وتناثر على عدة نقاط . أولها فى الغرب ، عند مدخل خليج أرتا ، فى أكتيوم . ثم جزيرة ليوكاس . ثم باترا ، على مدخل خليج كورنثيا . ثم جزيرة زانت .

* * *

وكان أوكتافيوس قد أعلن ، قبل نهاية عام ٣٢ ق م ، عزل مارك أنطوني عن منصبه فى «التريمفيرا» . وأعتبره جندياً رومانياً سابقاً ،

خرج على طاعة روما ، وذهب يخدم ملكة أجنبية ، هى كليوبطرة ! . ثم أخذ أوكتافيوس يطالب أنصاره بأن يقسموا يمين الولاء له . وقد دفع هذا مارك أنطونى الى أن يطالب أنصاره ، هو الآخر ، بأن يقسموا له يميناً مماثلاً . وشهدت الأسابيع التالية هروب كثير من أنصار مارك أنطوني من ايطاليا ، للأنضمام الى جيشه فى اليونان . وهروب أنصار أوكتافيوس من اليونان وغيرها من الدول الشرقية، للأنضمام الى جيشه فى ايطاليا .

وكان مارك أنطوني قد أعلن ، أنه فى خلال ٦ شهور من كسب الحرب ضد أوكتافيوس ، سيستقيل من منصبه ، ويعيد السلطات للسينات الروماني والرومانيين .

ويلاحظ أن أوكتافيوس لم يعلن الحرب على مارك أنطوني . وأنما أعلنها على كليوبطرة . وأصبحت كليوبطرة بعد ذلك «عدوة شرقية» لروما . أغوت مارك أنطونى وأفسدته ، بالبذخ والخمر والجنس ، حتى تملكته .وأن مارك أنطوني حاول أن يجرد روما من ممتلكاتها ، وأن يقدمها لعشيقته ! .

ويلاحظ أن ڤرجيل Virgil قد تحدث ، خلال هذا الوقت ، عن «الطقوس البربرية والغريبة فى الديانات المصرية القديمة» ! . وأن هوراس قد صور «الخصي القبحاء» الذين كانوا يتسلطون على البلاط البطلمي فى الأسكندرية ! .

وكان الرومان يعتقدون أن البطالمة يكثرون من الشراب . وقد ذكر سترابو Strabo «أن مصر تحت البطالمة كانت تترنح من شدة السكر» ! .

وأشار شيشيرون الى أن مارك أنطوني كان لا يكف عن الشراب . وأن كليوبطرة كانت تشاركه شرابه .

على أن ما أساء حقاً الى مارك أنطوني هو «الأقاويل» التى أنتشرت عن تدليله لكليوبطرة . وربما تدلهه فى حبها . فأن أحد قادته ، سابينياس ، قد ذكر بعد ذلك ، أن مارك أنطونى كان «يتسلم خطاباتها الغرامية فى كل مكان يذهب اليه ، فيقرأها ، ويعيد قراءتها على رجاله» ! . وأنه في خلال إحدى الأجتماعات الرسمية «مرت كليوبطرة بأطفالها بالقرب من مكان الأجتماع ، فأوقف مارك أنطوني الأجتماع ، وقام يصاحبها ، وهما يتنادران» .

بل أن سابينياس قد ذكر أيضاً ، أن مارك أنطونى قد طلب ، فى إحدى المآدب فى آسيا الصغرى ، من الحاضرين جميعاً ، أن يحيوا ملكتهم كليوبطرة . «ثم قام يعطر قدميها بنفسه أمامهم» .

ويذكر بلوتارخ ، أن سلوك مارك أنطوني ، وشططه الأنسانى أحياناً ، لم يكن يضايق البطالمة السكندريين . بل بالعكس حببه اليهم . «وأحبوا أن يشاركوه تسليته ، بطريقتهم الراقية والمهذبة . وكانوا يقولون أن مارك أنطوني يضع قناعه التراچيدى للرومانيين . وأما لهم ، فيضع قناعه الكوميدي» ! .

ويعطى بلوتارخ المثل على «تصرفات مارك أنطونس الطفولية» . فيقول أنه قد خرج فى أحد الأيام لأصطياد السمك ..

« وكانت كليوبطرة تلاحظه . فأمر بعض الصيادين بأن يغوصوا فى

الماء ، وأن يثبتوا بعض أسماكهم فى سنارته . ثم أخذ هو يستخرج أسماك الصيادين ، اثنتين وثلاثة فى كل مرة يخرج فيها سنارته من الماء. ولكن كليوبطرة أكتشفت حيلته . ومع ذلك ، أخذت تطنب مهارته فى الصيد .

« وفى اليوم التالي ، كانت قد أعدت له بعض أسماك البحر الأسود المملحة . وطلبت الى أحد صياديها ، أن يغوص فى الماء ، ويثبت بعضها فى سنارة مارك أنطوني ، كلما ألقاها هذا فيه . وقد ظن مارك أنطوني ، حين ألقى سنارته فى الماء ، أنه قد ظفر بسمكة حقيقية ، فجذب سنارته. ولم يجد الا السمكة المملحة . وضحكت كليوبطرة وقالت له : أيها الحاكم العظيم ، أترك لنا نحن حكام الفراعنة المساكين ، صيد السمك. لأن رياضتك يجب أن تكون هى صيد المدن والممالك والقارات » .

هزيمة مارك أنطوني فى أكتيوم

أنتقل مارك أنطوني وكليوبطرة فى نهاية صيف عام ٣٢ ق م من أثينا الى باترا ، وسط نقاطه العسكرية التى يتألف منها معسكره الهائل . ولكن قائد أوكتافيوس ، أجريبا ، لم يضرب ضربته القوية والمفاجئة حتى ربيع العام التالى ، ٣١ ق م . ويلاحظ أن مارك أنطوني كان قائداً معروفاً ومشهوداً له ، خصوصاً فى القتال البري ، منذ أيام يوليوس سيزار . وأن أجريبا ، الذى ترك له أوكتافيوس قيادة جيشه الفعلية ، لم يكن بأعتبار تاريخه كفئاً له . ولكنه كان قد أكتسب خبرة واسعة ، خصوصاً فى التلاحم البحرى ، من قتاله الطويل مع ليبيدس فى صقلية .

وفى بداية عام ٣١ ق م ، أخترق الجزء الأكبر من أسطول أجريبا البحر الأيونى ، وأحتل قاعدة مارك أنطوني فى ميثون . وكان يقود هذه القاعدة المنيعة ، الملك الموريتاني بوجود . وقد قتل خلال القتال . ثم أخذ أجريبا يهاجم من ميثون نقاط مارك أنطوني البرية والبحرية المتناثرة حوله .

وقد أزعجت ضربات أجريبا ، مارك أنطوني . وتهددت طريق

إمداداته من مصر . حتى شح وصول القمح المصري الى قواته . وأصبحت هذه القوات تعتمد فى تموينها منه على ما تصادره من قمح المزارعين اليونانيين . ويلاحظ أن باتركيوليس ، قد وجد أن استيلاء أجريبا على ميثون ، قد بعث اليأس فى نفوس أنصار مارك أنطوني ، فتركه عدد كبير منهم . وأنضموا الى جيش أوكتافيوس . وكان من هؤلاء حاكم اسبرطة القريبة ، يوريكليس ، الذى كان مارك أنطوني قد أعدم والده قبل هذا بسنوات .

وقد نقل أوكتافيوس الجزء الأكبر من جيشه ، بعد سقوط ميثون ، الى شاطئ البحر الأيوني ، عند كوركيرا ، شمالي قوات مارك أنطوني . وبذلك سيطر أجريبا علي نقطتين هامتين . هما ميثون وكوركيرا . وقد تقدم منهما جنوباً ، على البر والبحر ، حتى أصبح على مرمى البصر من أكتيوم .

وقد أضطر تقدم أوكتافيان ، مارك أنطوني وكليوبطرة ، الى نقل معسكرهما الى أكتيوم . ثم تقدم مارك أنطوني شمالاً ، ووقف الى جانب معسكر أوكتافيوس . وقد أرسل مارك أنطوني فرسانه لمحاولة قطع المياه عن قوات أوكتافيوس . ولكن هذه المحاولة لم تنجح . وأصبح واضحاً أن قوات مارك أنطوني البرية والبحرية ، قد أصبحت محاصرة بين قوات أوكتافيوس البرية الى شمالها ، وسفنه فى البحر . وخليج امبريسيا الى جنوبها . وأخذ أنصاره يتركونه بأعداد أكبر ، وينحازون إلى أوكتافيوس . وكان من هؤلاء أهينو بارباس .

وفى بداية أغسطس عام ٣١ ق م ، أرسل مارك أنطوني قائده ديليوس ، لمحاولة فك الحصار المضروب عليه من الشرق . والوصول بقواته الى مقدونيا . وفى نفس الوقت ، حاول قائده الآخر جايوس سوسياس ، أن يخرج بجزء من أسطوله من خليج امبريسيا الى البحر . ولكن محاولة سوسياس لم تنجح ، وأضطرت سفنه للعودة الى الخليج .

ثم أرسل مارك أنطوني بعض فرسانه ، بقيادة الملك أميناس ، لمحاولة فك الحصار البرى المضروب حوله . وكان قد مضى على هذا الحصار زهاء ١٦ اسبوعاً . ولكن أميناس أنضم بجنوده الى قوات أوكتافيوس . وفى نفس الوقت أعلن حاكما جزيرتى كريت وقبرص تركهما لمارك أنطوني ، وأنضمامهما الى أوكتافيوس .

وقد طالب القائد كانيديس كراسوس ، مارك أنطوني ، بأن يسحب جميع قواته البرية الى مقدونيا . وأن يحاول أن يستدرج الى هناك قوات أوكتافيوس . وأن يخوض المعركة الفاصلة معها على البر . وأكد له تفوقه الكامل على قوات أوكتافيوس فى هذا الميدان . وأن سفنه تستطيع أن تغامر بعد ذلك بالخروج الى البحر . وأنه حتى اذا فقدها كلها ، فأن هذا لن يغير شيئاً . لأن المعركة البرية هى التى ستقرر مصير الأمبراطورية . ولكن مارك أنطوني لم يكن يريد ترك سفنه . اذ كانت وسيلته الوحيدة، مع كليبوبطرة ، للانتقال اذا لزم الأمر الى الأسكندرية.

ويلاحظ أن مارك أنطوني قد عاد فعمل بعد ذلك ببعض مقترحات كراسوس ، ولكن بعد أن فترت حماسة رجاله ، وهجره الكثيرون . ولم

يشأ أن يصاحب جيشه الى مقدونيا ، وإنما تركه لكراسوس . وفضل مصاحبة سفن كليوبطرة الى الأسكندرية .

ويقال أن خطة مارك أنطوني الأخيرة هذه ، كان ديليوس قد نقلها الى أوكتافيوس . وكان قد هجره اليه قبل أيام من بدء المعركة الفاصلة .

وقد اضطر مارك أنطوني الى إحراق عدد كبير من سفنه ، لعوزه الى المجذفين . وخرج فى فجر ٢ سبتمبر عام ٣١ ق م ، مع ٢٣٠ سفينة . وكانت سفنه تحمل أشرعتها ومن فوقها ٢٠٠٠٠ جندى . وقد أدى هذا الى ثقل هذه السفن ، وبطء حركتها ، أمام سفن أوكتافيوس الأربعمائة .

وكانت العادة أن تبنى منصات مرتفعة فى مقدمة السفن ، يقف من فوقها الرماة . ثم تقترب السفن المهاجمة من سفن أعدائها ، وترميها بسهامها . ويتسلق الجنود سفن العدو ، ومعهم سهامهم ، وسيوفهم ، ويقاتلون أعدائهم فوقها .

وقد تلخصت خطة مارك أنطوني فى محاولة الخروج من خليج امبريسيا ، ثم الأنتشار على هيئة مروحة واسعة فى البحر . ثم نشر الأشرعة ، والفرار بأقصى سرعة ناحية الأسكندرية . ولكن أوكتافيوس كان قد علم ، على ما ذكرنا ، من ديليوس ، بتفاصيل تلك الخطة . وقد أعد سفنه لمواجهة سفن مارك أنطوني . فلم يضع عليها أشرعتها الثقيلة. وحملها بعدد أكبر من المجدفين والرماة . فلما خرجت سفن مارك أنطوني من الخليج ، لم يحاول منعها . وإنما نشر سفنه هو الآخر أمامها . وعندما مرت به ، لاحقها ، وبدأ قتالها .

وكان أجريبا على سفينته قد جعل نفسه فى مواجهة سفينة مارك أنطوني ، الذى كان يقود جناح سفنه الأيمن . وجعل أوكتافيوس نفسه فى مواجهة سفن سوسياس ، الذى كان يقود جناحها الأيسر . ولم يكن القلب مزدحماً بالسفن . فلما ألتحمت السفن بعضها ببعض ، أسرعت كليوبطرة من الخلف ، مندفعة بسفنها الستين الباقية ، والناشرة أشرعتها ، للفرار الى الأسكندرية ! .

وأما بقية سفن مارك أنطوني ، فلم تستطع الفرار معه . فأستسلمت لأوكتافيوس فى عرض البحر ، أو فى خليج امبريسيا . بعد أن غرق منها ٤٠ سفينة . ولم يقتل فى هذه المعركة غير ٥٠٠٠ جندي ، أكثرهم من بحارة وجنود مارك أنطوني .

***

وقد ثارت حول تصرفات كليوبطرة فى معركة أكتيوم أقاويل كثيرة ، تصور تخليها ، وتخلى سفنها ، عن القتال ، وفرارهم جميعاً من المعركة عند بدايتها الى الأسكندرية . ولكن هكذا كانت الخطة التى وضعها مارك أنطوني بنفسه . وهكذا كان الدور الذى كلفت به كليوبطرة .

ولكن ما يصعب الدفاع عنه حقاً ، هو موقف مارك أنطوني نفسه ، خلال هذه المعركة ، وبعدها . فأنه ترك أكثر جيشه وسفنه ، وذهب يلحق بكليوبطرة ! .

وقد بلغ ، بعد ثلاثة أيام من تلك المعركة ، النقطة الجنوبية فى جزر البيلوبونيز . وكانت لا تزال بأيدي قواته . ومن هناك ، أرسل مارك

أنطوني رسالة الى قائده كانيديس كراسوس ، ولم يكن يعلم أن هذا القائد قد حاول الخروج بقواته الى مقدونيا . ولكن لما هاجمه طابور من قوات أوكتاڤيوس ، فضل رجاله التفاوض معهم . وقد عرض عليهم أوكتاڤيوس شروطاً حسنة للتسليم . فقبلوها . فقد كان كل ما يريدون هو العودة لأوطانهم ومزارعهم ! .

وقد صور المؤرخون الغربيون أكتيوم على أنها كانت معركة كبرى . حددت سيادة «الغرب» على «الشرق» طوال القرون التالية . مع أن أكتيوم لم تكن معركة كبرى بأى مقياس من المقاييس . وسيادة الغرب على الشرق لم تجئ الا بعدها بقرون كثيرة . حين قامت أوروبا بنهضتها ، وتفتحت عقول أبنائها وبصائرهم ، وأقتحمت عصر العلوم والصناعة . وتخلف الشرق من ورائها .

أما اذا كان القصد ، هو تغلب الرومان على الأغريق . ورفض التحالف الأغريقي الروماني . وأنتهاء دور الاسكندرية ، وتركز الأمور فى روما طوال قرون بعد ذلك . فأن هذا كله صحيح . إذا أستثنينا دور الأمبراطورية البيزنطية الكبير والفعال ، فى مواصلة دفع عجلة الحضارة، طوال قرون .

دخـول أوكتـافيـوس الاسكندرية

ذهب أوكتافيوس ، بعد أنتصاره فى أكتيوم ، الى أثينا . وحاول أن يستميل اليه اغريقها . ثم عبر الى آسيا الصغرى ، حيث أنفق شتاء عام ٣٠/٣١ ق م . ولكنه سمع بمؤامرة ماركوس ليبيدس الفاشلة للأستحواذ على حكم روما . ومع أن ميسيناس ، نائبه فى روما ، قد قبض على ليبيدس وقتله ، فأن أوكتافيوس أرسل أجريبا اليها للأطمئنان على الأمور هناك . ثم ذهب هو بنفسه ، عندما أخبره أجريبا بأستمرار الفتنة . فأن الجنود الرومانيين كانوا يطالبون بتسريحهم ، والوفاء بالوعود التى قطعت لهم لتوطينهم فى أراضي زراعية رومانية .

وكانت الحروب الطويلة قد أفسدت اقتصاد روما . ووجد أوكتافيوس أنه فى حاجة ملحة ، لعلاج أزمته ، الى ثروة كليوبطرة الخيالية ، التى لا تفتأ الأقاويل تتحدث بها ! .

* * *

وكان مارك أنطوني قد ترقف فى السلوم أياماً . فقد كان يخشى أن يكون جنود أوكتافيوس قد تابعوه فى هروبه . ثم لحق بعد ذلك بكليوبطرة فى العاصمة البطلمية : الأسكندرية . وكان حزيناً ومنطوياً

على نفسه . قد لازم بعض أبراج الميناء . ولم يذهب الى القصر .

ويقال أن الأضطرابات قد أستقبلت كليوبطرة عند وصولها الى الأسكندرية . ولكنها واجهتها بشدة وحزم . يقول ديوه Dio :

« وقد أسرعت كليوبطرة الى مصر ، خوف أن يثور رعاياها عندما يعرفون قبل وصولها اليها أنها قد هزمت فى أكتيوم . وقد تظاهرت بأن النصر كان حليفها . ووضعت أكليله فوق رأسها . وأمرت بنظم الأناشيد ، التى تغنى مع أصوات الأبواق ، فى تمجيد انتصاراتها . ولكنها بعد ذلك ، أمرت بذبح كثيرين من الرجال الذين ظنت أنهم يكرهونها . أو أنهم قد سروا عندما سمعوا خبر هزيمتها . وأخذت تجمع كل ما تستطيع من أموال ، متذرعة بكل ما تعرف من أساليب ، ومن دون أن تعفي أحداً ، حتي المعابد ذاتها ، من دفعها . كي تعيد بناء قوتها ، وتشتري الحلفاء » .

ويقال أن كليوبطرة قد أرسلت أبنها الأكبر بطليموس سيزار الى قفط ، فى صعيد مصر ، ومعه بعض كنوزها . وأمرته بأن يتجه منها الى ميناء بيرنيس ، على البحر الأحمر . وأن يأخذ طريقه بها الى الهند .

ويقال أيضاً أنها قد نقلت بعض سفنها البحرية الى الطرف الشمالي للبحر الأحمر ، بنية السفر بها الى «الشرق» . وأنها أخذت تبني بعض السفن هناك . ولكن عرب تلك المناطق خربوها وأحرقوها ، بتحريض من هيرود . وقد أنتقمت منهم كليوبطرة ، بقتل الكثيرين منهم .

وأما أوكتافيوس ، فقد عاد الى ساموس ، باليونان ، فى ربيع عام

٣٠ ق م . ثم ذهب الى جزيرة رودس . وأخذ يستقبل الملوك والحكام الذين جاءوه يعلنونه بتأييدهم له . وقد زاره حاكم سوريا ، ديديوس . ثم ملك اليهودية هيرود . وأعترف الأخير له في صراحة : أنه كان مخلصاً لمارك أنطوني . وأنه سيصبح من الآن مخلصاً له ! .

ويقال أن كليوبطرة قد بكت عندما سمعت بما قاله الملك اليهودي لأوكتافيوس . وذكرت أنها كانت تريد قتل اليهود جميعاً بيديها ، ولكن مارك أنطونى لم يستمع اليها ! .

وفى الصيف ، هبط أوكتافيوس على السواحل السورية . ويقال أن كليوبطرة قد أرسلت له وهو هناك ثلاث مرات ، تطلب الأتفاق معه . وقد أهدته فى المرة الأولى شعار بلاطها البطلمى «التمساح» . وأبدت استعدداها للتنازل عن عرشها لأبنائها . وقد احتفظ أوكتافيوس بالشعار. ولم يعد رسولها بشيء .

وفى المرة الثانية ، أرسلت ابن مارك أنطونى ، أنتيلاس . وكان ، كما ذكرنا ، خطيب أبنته السابق . فقدم له مبلغاً كبيراً من المال . وأعلنه أن والده يريد إعتزال الحياة العامة . ولكن أوكتافيوس لم يعقب على كلماته بشئ .

وفي المرة الثالثة ، أرسلت كليوبطرة معلم أولادها يوفرونيوس مع قدر كبير من المال . وقد طلب اليه أن يتولى حكم مصر أحد أبناء كليوبطرة . ولكن أوكتافيوس أحتفظ بالمال ، ولم يرد على رسول كليوبطرة بكلمة واحدة ! .

ثم هاجم قائد أوكتافيوس جالاس ، السلوم . وذهب مارك أنطوني الى هناك بأربعين سفينة ، لصده عنها . ولكنه خسر السفن الى جانب المدينة . وعاد مهموماً الى الأسكندرية .

وأخذ أوكتافيوس ، ومعه هيرود ، يتقدم من حدود مصر الشرقية عبر الدلتا . وعندما عجز القائد البطلمي سيليوكوس عن صده ، قتلت كليوبطرة زوجته وأبناءه في الاسكندرية ! .

ويقال أن كليوبطرة ، لما وجدت أوكتافيوس يتقدم الى أبواب عاصمتها ، أخفت «كنزها» في ميزوليم الأسكندرية . يقول بلوتارخ :

« وكانت كليوبطرة قد أقامت لنفسها عدداً من التماثيل والتوابيت الجميلة ، الى جانب معبد إيزيس . وقد جمعت إلى جانبها ، أثمن ما تملكه من ذهب وفضة ، وجواهر ولآلي ، وعاج وسن الفيل ، وكمون . ووضعت الى جانبها أخشاباً كثيرة . وقد قلق أوكتافيوس عندما سمع بما فعلت . وكان كلما قرب من الأسكندرية ، أرسل اليها الرسل ، الذين يبدون لها نيته في معاملتها بالحسنى والرفق ، لأنه كان يخشى أن تأمر كليوبطرة في ثورتها بحرق تلك الثروة العظيمة » .

وعندما بلغ جيش أوكتافيوس أطراف الأسكندرية الشرقية ، ثم عسكر في إستادها ، هاجم مارك أنطوني وبعض فرسانه جنوده المتقدمين. وألجأهم الى الفرار . يقول بلوتارخ :

« ثم عاد مارك أنطوني الى المدينة ، وقد أستشعر الفخار . فأخذ يسير في شوارعها في خيلاء . ودخل القصر ، فعانق كليوبطرة ، وهو بكامل

أدرعته . وقدم لها أحد فرسانه ، الذين أبلوا ، كما قال ، بلاء حسناً فى القتال . وقد أعطته كليوبطرة هدية ثمينة . ولكن فى المساء ، ترك الفارس معسكر مارك أنطوني الى المعسكر المضاد » .

ويقال أن كليوبطرة قد حاولت أن ترشي بعض جنود أوكتافيوس . ولكنها لم تنجح ألا فى إشعال طمعهم فى ثروتها . وأن مارك أنطوني قد عرض على أوكتافيوس أن ينازله ، بالسلاح الذى يختاره . ولكن هذا رد عليه : أن هناك طرقاً كثيرة أخرى ، تستطيع أن تتخلص بها من حياتك! .

وفى ليلة أول أغسطس عام ٣٠ ق م ، دارت فى المدينة اشاعة كبرى: إن الآله دايونيساس قد بارحها . ودايونيساس كان ، كما ذكرنا آله الأسكندرية . وكان الأعتقاد السائد فى العالم القديم ، هو أن آلهة المدن تتركها قبل سقوطها ! .

يقول بلوتاريخ :

« وفي حوالي منتصف الليل ، عندما سكنت الضوضاء ، وانتشر في المدينة الشعور بقرب حلول الساعة . فجاة ، أرتفع صوت موسيقى وترانيم جميلة ، تصدر عن آلات سماوية وأصوات مبدعة ، آلهية . وكأن أجساداً ملائكية قد تركت أبواب المدينة ، وهى تهتف وتغنى ، قاصدة معسكر الأعداء . ثم أنتهت هذه الأصوات فى داخل معسكرهم » .

وفى الصباح التالي ، خرج أسطول مارك أنطوني لملاقاة أسطول أوكتافيوس . ولكنه أستسلم له من دون قتال ! .

وكذلك فعل فرسان مارك أنطوني عندما خرجوا لقتال جنوده !

ثم سارع بقية الرماة والجنود الى الهرب الى كل مكان !

وقيل أن مارك أنطوني ، عندما رأى حاله ، قد جلس يبكي . وأنه أخذ ، ولأول مرة ، يلوم كليوبطرة ، ويتهمها بخيانته !

إنتحـار مـارك أنطـــوني

عندما دخل جيش أوكتافيوس الأسكندرية ، هربت كليوبطرة الى داخل الموزيليم . وأغلقت أبوابه ونوافذه . وتحصنت فى داخله مع كنوزها. وكان معها مصففة شعرها ايراس . ووصيفتها شارميون . وأحد خصي القصر المقربين اليها .

وكانت قد أرسلت لمارك أنطوني من يبلغه بأنتحارها . وقيل أنها قد فعلت هذا وهى بنية الأنتحار فعلاً . فأمر مارك أنطوني خادمه إيروس بأن يقتله بسيفه . ولكن الخادم طعن نفسه بسيف مارك أنطوني ، مفضلاً الموت على قتل سيده . فأخذ مارك أنطوني سيفاً آخر ، وطعن به نفسه .

وبينما هو يحتضر ، جاء سكرتير كليوبطرة ، ديوميدس ، كى يخبره بأنها لا تزال حية . وأنها تريده أن يحضر اليها . وقد حمله خادمان الى خارج الموزيليم . ولكن الأبواب كانت مغلقة . فأنزلت كليوبطرة ، ووصيفتها شارميون ، حبالاً ، وربطتا جسد مارك أنطوني بها . ثم رفعتاه خلال نافذة بالدور العلوي ، وأدخلتاه الى داخل الموزيليم . يقول بلوتارخ :

« وعندما نجحت الملكة ووصيفتها ، ببالغ الصعوبة في رفع مارك أنطوني اليهما ، طلب مارك أنطوني قدحاً من النبيذ ثم رجا كليوبطرة ألا تلومه علي سوء طالعه ، الذي أودى به في النهاية وأن تعده سعيداً ، لأنه قد حقق الأنتصارات التي تحدث بها العالم وأن تتذكر أنه قد توصل للقوة والشهرة اللتين لم يحققهما انسان آخر ولهذا فليس من العار أن يموت كروماني وقد قهره روماني آخر »

وعندما مات مارك أنطوني ، ذهب أحد خدم أوكتافيوس فزف له الخبر وحمل له السيف الذى قتل به مارك أنطوني نفسه فأرسل أوكتافيوس من فوره قائده جايوس بركيوليس ، كى يظفر بكليوبطرة حية ويمنعها من إتلاف كنوزها وقد ذهب بركيوليس اليها فى الموزيليم فوجد أبوابه ونوافذه مغلقة . ولكنه ناداها وقد فتحت له إحدى النوافذ ، وتحدثت اليه فنقل لها وعد أوكتافيوس ، بأن يعاملها بالرحمة والأحسان ، ولكنها لم تطمئن لكلماته

وكان بركيوليس قد لاحظ النافذة المفتوحة بالطابق العلوي ، والتي أدخلت منها كليوبطرة جسد مارك أنطوني فذهب بركيوليس ليستشير أوكتافيوس ثم عاد ومعه قائد روماني آخر ، هو كورنيليس جالاس وقد أخذ جالاس يحدثها بينما تسلق بركيوليس معه جنديان آخران المبنى ، ودخلاه خلال النافذة المفتوحة ثم هبطا سلالمه الى الحجرة التى تتحدث منها كليوبطرة الى جالاس ، فقبضوا عليها وكان معها خنجر ، منعها بركيوليس عن إستخدامه وأخذوها أسيرة

وقد مرضت كليوبطرة بعد القبض عليها وأمر أوكتافيوس بنقلها الي القصر البطلمي . وذكر بعض المؤرخين أن أوكتافيوس كان يريد الأبقاء على حياتها ، كى تشارك فى موكب نصره فى روما . ولكن هذا مشكوك فيه لأن الرومانيين جميعاً كانوا يعلمون ، أن شقيقتها أرسينوه ، قد أستدرت عطف الرومانيين البالغ عليها ، عندما سارت فى موكب يوليوس سيزار قبل هذا بستة عشر عاماً . حتى لم يستطيع يوليوس سيزار بعد ذلك أن يقتلها . ولهذا ، يكاد يجمع المؤرخون على أن أوكتافيوس ، بما عرف عنه من دهاء ، وحنكة وبصيرة ، قد أراد كليوبطرة أن تقتل نفسها بنفسها . فتخلصه من مهمة الأمر بأعدامها . ولهذا أرسل لها دولابيلا ، كى ينقل اليها نية أوكتافيوس نقلها مع أولادها ، بعد ذلك بثلاثة أيام ، الى روما . كى يشتركوا جميعاً فى موكبه هناك . وهو يعلم أنه يدفعها بذلك الخبر الى قتل نفسها ! .

ويقال أيضاً ، أن أوكتافيوس ، قد أمر حارسها ، ايبافروديتس ، أن يغمض عينيه ، اذا ما رآها تحاول قتل نفسها ! .

* * *

وقد أرسلت كليوبطرة ، فى ١٢ أغسطس عام ٣٠ ق م ، خطاباً مغلقاً الى أوكتافيوس . فلما فتحه ، وجدها توصيه ، اذا ما ماتت ، أن تدفن الي جوار مارك أنطوني . وطبيعي أن يقلق أوكتافيوس من خطاب كليوبطرة المغلق اليه . وأن يرسل لها رجاله للأطمئنان على حالها . ولكن رجال أوكتافيوس وجدوها «مستلقية ، تحتضر ، على كنبة ذهبية ، وهى

بكامل ملابسها الأمبراطورية» . وعند قدميها مصففة شعرها ايراس ، التى كانت قد ماتت . بينما وصيفتها شارميون ، تحتضر ، وهى تحاول أن تضع تاج كليوبطرة على رأس سيدتها .

وقد صاح رجال أوكتاڤيوس فى شارميون : أهذا الذى فعلته طيب ؟ . فأجابتهم : إنه طيب تماماً ! . وأكملت كليوبطرة كلمات وصيفتها ، فتمتمت : ويليق بملكة ، تنحدر عن صلب كل هؤلاء الملوك ! .

وقد أمر أوكتاڤيوس بأن تدفن كليوبطرة كملكة ، الى جوار مارك أنطوني ، كما أرادت . وعند قدميها دفن جثماني إيراس وشارميون .

ولا يوقن أحد الى الآن ، من الطريقة التى قتلت بها كليوبطرة نفسها . فان سترابو يذكر سببين مختلفين لموتها . الأول هو عضة الحية . والثاني هو إستخدامها لدهان سام .

ويلاحظ بلوتارخ ، أنه لم يكن فى جسم كليوبطرة أية جروح ، غير خدشات بسيطة على ذراعها . كما أن الحية المزعومة هى عند فرجيل ، اثنتان . وعند هوراس ، عدة حيات ! .

ويقول جالينوس ، بعد ذلك بقرنين من الزمان ، أن كليوبطرة قد خدشت جلدها . ثم وضعت الحية فى الخدش . ويذكر بلوتارخ ، أن كليوبطرة كانت تحمل سم الحية معها داخل تجويف في مشط شعرها .

ويؤكد بلوتارخ نظرية الحية ، حين يقول أنها قد أدخلت إليها وسط سلة تين ، أو داخل دورق ماء ، أو في وسط باقة من الزهور .

وقد كان بالأسكندرية زمن كليوبطرة ، مدرسة طبية متقدمة ، على

رأسها الطبيب الذائع الصيت أوليمبس Olympus . وكانت هذه المدرسة خبيرة بالسموم . حتى قيل أن بعض من كان يُحكم بأعدامهم فى الاسكندرية ، كانوا يقتلون ، رحمة بهم ، بالسم . وليس بالشنق ، أو قطع الرأس .

على أن مما يضيف لاسطورة سم الحية بعداً آخر ، هو أن الحية كانت تمثل الخلود عند قدماء المصريين . وكانت تحمى الملوك الفراعنة . وتهدد أعداءهم. وكان لها مغزى هام فى حياة الربة إيزيس بالذات ، التى أختارتها كليوبطرة كي تتقمص صورها . فإن الحية ، أو الكوبرا المصرية، البنية أو السوداء اللون ، والتى عاشت فى برارى الدلتا منذ آلاف السنين، تقترن صورتها دائماً بصورة هذه الربة المصرية القديمة إيزيس . وتزين رأس جميع تماثيلها .

فهل قامت أسطورة موت كليوبطرة بالحية ، بعد وفاتها ، لاقتران صورتها وحياتها ، بصورة الربة ايزيس ؟! .

الأسكندرية بعد حكـم البطالمة

ألقى أوكتافيوس ، عقب دخوله الأسكندرية ، خطاباً فى إستاد المدينة. وعد فيه السكندريين بأن يكون متسامحاً معهم ، بسبب تاريخ وعظمة مدينتهم ، وحقيقة أن الأسكندر الأكبر هو باني تلك العاصمة الكبرى ! . وقد زار أوكتافيوس قبر الأسكندر . ويقال أنه قد أخطأ ، فكسر جزءاً من أنف تابوته . ولكنه لم يزر المعابد المصرية القديمة . ولم يزر قبور الملوك البطالمة .

ويلاحظ أن أوكتافيوس قد حطم عند دخوله الأسكندرية جميع تماثيل ونقوش مارك أنطوني فيها . ولكنه لم يمس تماثيل ونقوش كليوبطرة . بعد أن دفع له أنصارها من الأغريق السكندريين : ٢٠٠ تالتنس ، كى يترك تماثيلها قائمة ! .

وقد حاكم أوكتافيوس ، وقتل ، بعض معاوني كليوبطرة . وأمر بقتل إبنها بطليموس سيزار . والأبن الأكبر لمارك أنطونى وفولفيا : أنتيلوس . وكان خطيب ابنته على ما ذكرنا .

وكان الأول قد عاد الى الأسكندرية ، بعد هروبه فى الصعيد . وقد أفاد عنه مدرسة : رودون . وخان الثاني أيضاً مدرسه ثيودورس . والجدير بالذكر أن ثيودورس قد أتهم بعد ذلك بسرقة لؤلؤة كان يحملها

أنتيلوس. فقتل بعده بقليل .

وواضح أن أوكتافيوس قد حاول أن يتخلص من منافسيه فى المستقبل ، بما فعل . فلم يقتل أحداً آخر من أبناء كليوبطرة ومارك أنطوني . وانما سار ثلاثتهم فى موكب نصره فى روما . ثم تزوجت كليوبطرة سيلين من ملك موريتانيا : جوما الثانى فى عام ٢٥ ق م . وعاشت معه فى موريتانيا . وعاش معها هناك أيضاً ، على ما يقال ، أخواها الكسندر هليوس وبطليموس فيلاديلفوس . ولم يسمع عنهم بعد ذلك شيئاً .

وأما أوكتافيوس ، فقد حكم روما بعد أكتيوم طوال ٤٥ عاما . وكان من أعظم القياصرة الرومانيين ، ان لم يكن أعظمهم . وقد تسمى بأسم أوجسطس ، تيمناً بدخوله الأسكندرية فى أول شهر أغسطس . ولأنتصاراته الكثيرة التى تمت خلال ذلك الشهر .

* * *

وقد ضم أوكتافيوس مصر بصورة كاملة للأمبراطورية الرومانية . وأنتهى عهد البطالمة فيها ، بعد أن أستمر زهاء ٣٠٠ عام .

ولكن أوكتافيوس لم يعين على الأسكندرية حاكماً من أعضاء السينات الروماني ، على ما كان يفعل مع الأقاليم الرومانية الأخرى . وإنما خصها ، هى وحدها ، ببرفكتس Prefectus أو مبعوث خاص للقيصر . وتحت حكمه المباشر . وكان أول من أختاره أوكتافيوس لحكم الأسكندرية القائد العسكري كورنيليس جالاس . وقد أستمر هذا الوضع

حتى زمن القيصر ماكرينوس فى عام ٢١٧ م ، حين هبط شأن مصر ، وتساوت فى الأهمية بالأقاليم الرومانية الأخرى . وأصبح يعين لحكمها عضو سينات روماني . كذلك عين أوكتافيوس بسينامون كاهناً أعظم للديانة المصرية في منف .

وقد قام في صعيد مصر ، عقب تسلم جالاس شئون الحكم ، ثورة ضد الرومان . أخمدها ذلك القائد العسكري بحزم وقسوة . ومد عقبها حكمه حتى ما بعد الجندول الأول . ونشر النفوذ الروماني فوق الدولة النوبية إلى جنوبه . ولكن جالاس أستدعى فى عام ٢٦ ق م الى روما ، وحقق معه ، ثم أضطر للأنتحار .

وقد أحتفظ أغريق مصر ، تحت حكم الرومان ، بجميع مظاهر معيشتهم وإمتيازتهم . فأستمروا فى استخدام اللغة اليونانية لغة رسمية فى البلاد . وكانت للأسكندرية على الدوام علاقاتها الخاصة والمستقلة . واستمرت المدن الأغريقية الأخرى فيها . ولكن مجالس الشورى فى هذه المدن توقفت . وأعترف الرومان ليهود الأسكندرية بعد ذلك بحقوق مماثلة لحقوق الأغريق .

وقد أدى هذا الاعتراف الى شقاق وتنازع ، بين الأغريق واليهود . وقف منه الرومان موقف المراقب فى البداية . ثم إنحازوا تدريجياً الى صف الأغريق ، وحاربوا معاً اليهود فى مصر ثم فى بعض أنحاء الأمبراطورية الرومانية .

تواريخ في حياة كليوبطرة

قبل الميلاد

٦٩/٧٠	ولادة كليوبطرة .
٥٨	طرد بطليموس أوليتس وابنته كليوبطرة من الأسكندرية .
٥١	وفاة بطليموس أوليتس ، وولاية كليوبطرة وأخيها بطليموس الثالث عشر عرش الأسكندرية .
٤٨/٩	هرب كليوبطرة الى صعيد مصر، ثم الى حدودها الشرقية. ووصول يوليوس سيزار إلى مصر .
٤٧	ولاية كليوبطرة وبطليموس الرابع عشر عرش الاسكندرية . وولادة بطليموس سيزار .
٤٦	زيارة كليوبطرة ليوليوس سيزار .
٤٤	اغتيال يوليوس سيزار . ووفاة بطليموس الرابع عشر . وبداية حكم بطليموس سيزار مع والدته .
٤١/٢	مارك أنطوني ينتصر في فيليبا ، ويستدعي كليوبطرة الى طرسوس .
٤٠	هجوم البارثينيون على آسيا الصغرى وسوريا. وانقلاب فولفيا ولوشيوس انطونيوس الفاشل ضد أوكتافيوس . ثم

	زواج مارك أنطوني بأوكتافيا . وولادة توأمي كليوبطرة من مارك أنطوني .
٣٧	مارك أنطوني يعيد أوكتافيا الى روما ، ويجتمع بكليوبطرة فى انطاكية، ثم يضم لمملكتها أراضي واسعة .
٣٦	فشل حملة مارك أنطوني على ميديا ، وولادة بطليموس فيلاديلفوس .
٣٤	نجاح حملة مارك أنطوني على أرمنيا ، واعلان «وصية الأسكندرية» .
٣٢/٣	اشتعال الخلاف بين مارك أنطوني وأوكتاڤيوس . ومارك أنطوني وكيلوبطرة يمضيان الشتاء فى إيفسوس . وطلاق مارك أنطوني وأوكتافيا .
٣١	أجريبا يحتل ميثون . وإحتدام معركة أكتيوم . ثم هروب مارك أنطوني وكيلوبطرة الى الأسكندرية .
٣٠	دخول أوكتاڤيوس الأسكندرية ، وأنتحار مارك أنطوني ثم كيلوبطرة . واعدام بطليموس سيزار وانتيلوس .

أسطـورة كليوبطـرة

يقال أنه عندما وصلت أخبار إنتحار كليوبطرة ، ووقوع كنزها الشهير فى أيدي أوكتافيوس ، الى روما ، أن سعر الفائدة فيها قد هبط من ١٢ الي ٤ بالمائة !.

ويلاحظ أن الرومانيين ، فى غلوائهم وكبريائهم ، قد كرهوا كليوبطرة كرهاً شديداً . فنددوا بشخصها ، وديانتها ، وعاداتها ، وبلاطها . وحاكوا الأساطير حول غوايتها ليوليوس سيزار ثم لمارك أنطوني . وقالوا أنها قد ربطتهما ، واحداً بعد الآخر بخيوط من ذهب . وأنها كانت عاهرة لم تعرف الحب . وإنما كانت تسيرها طموحاتها السياسية . والرغبة فى القضاء على الامبراطورية ، وإبقاء زعامة العالم القديم فى الاسكندرية .

ولكن كراهة الرومانيين لها تراجعت ، وتنديدهم بها توقف ، حين قتلت كليوبطرة نفسها ! . فأخذوا يشيدون بعظمتها . على ما يقول هوراس فى نشيده الذى نقتطع منه هذه السطور :

« ولكنها فضلت أسلوباً آخر فى قتل نفسها
فانها لم تهرب من الخنجر كامرأة
أو تسرع مختفية الى البحر
تبحث بدلاً من مصر، عن عوالم أخرى مجهولة .

« ولكنها رنت الى قصرها المهجور
بأبتسامة هادئة ، ويد غير مرتعشة
بينما الحية ثائرة ، حتى
تشبعت دمائها من سمها المميت .
« ومع تصميمها على الموت ،
وأقدامها عليه أكثر من ذى قبل
انتهت . فهل كانت تحتفل بنصر عظيم ؟ .
بعد أن خلعت عن العرش . وأراد الليبرثيون الوقحاء
أن تسير فى موكب النصر .
لا.ليس كليوبطرة » .

ويلاحظ أن تمثال كليوبطرة فى معبد ڤينوس بروما ، الذى كان يوليوس سيزار قد أقامه لها ، لم يتحرك من مكانه فى ذلك المعبد . وأنه قد بقي ، والى جانب تماثيلها الكثيرة فى الأسكندرية ، حتى القرن الثالث الميلادي .

***

وقد بدأت حملة الكراهية ضد كليوبطرة على أيدى المؤرخين الرومانيين ، الذين كرهوها فى حياتها ، كما بينا ، كراهة عمياء . وكرهوا تعلق يوليوس سيزار ، ثم مارك أنطوني ، بها . ولكن ، إذا كانت كراهة هؤلاء المؤرخين ، قد خفت بعد وفاتها ، فأن كراهة المؤرخين اليهود لها ، الذين ظنوها قد طمعت فى حكم بلادهم وشعبهم ، قد

أستمرت ، بعد وفاتها .

فأن المؤرخ الروماني ليفى Livy (٥٩ ق م / ١٧م) الذى عاصر كليوبطرة ، وكان قد أنحاز الى أوكتافيوس ، قد كره مارك أنطوني كراهة شديدة . وتاريخه «الفخم» الذى وضعه فى ١٤٢ مجلداً لهذه الفترة ، ينضح بكراهيته لها . ولهذا السبب أيضاً ، تعوزه الدقة التاريخية .

وقد عادى ليفى كليوبطرة مثلما عادى مارك أنطوني . وأسمى الأخير بعدو الشعب . ولكنه خفف من كراهيته لكليوبطرة بعد معركة أكتيوم ، ثم أنتحارها .

وقد جاء بعد ليفى ، مؤرخ روماني آخر هو باتركيولس Paterculus مال هو أيضاً فى تاريخه ، الذى كتبه حوالى عام ٣٠ م، الى أوكتافيوس وقسا فى هذا التاريخ ، قسوة شديدة ، على مارك أنطوني وكليوبطرة . وأعتبر باتركيولس كليوبطرة عاهرة ، نجحت فى اغواء يوليوس سيزار ، ثم مارك أنطوني . ثم خانت الأخير فى معركة أكتيوم . ولكنه وصف نهايتها بالشجاعة . وقال أنها قد ماتت ميتة الرجال ! .

وأما القائد والمؤرخ اليهودي ڤلاڤيوس جوزيڤوس Josephus (٩٥/٣٧) فقد أعتمد فى تاريخه للحروب اليهودية إعتماداً مباشراً على مذكرات هيرود ، وقائد ذلك الحاكم ومستشاره نيكلاوس . وكان نيكلاوس قد عمل مدرساً لأبناء كليوبطرة ، قبل أن ينتقل لخدمة هيروه . وقد أتينا فيما سبق على بعض ما ذكره هيرود ونيكولاوس ، ونقله

عنهما چوزيفوس . وكل ما نستطيع أن نقول هو أن كراهيتهم جميعاً لكليوبطرة كانت واضحة . وأن كتاباتهم عنها لم تكن موضوعية .

ويلاحظ أن أول من وقف للدفاع عن كليوبطرة ، بعد وفاتها بحوالي ٦٠ عاماً ، كان هو اللغوي السكندري أبيون Apion . وربما لم تمت قط ذكرى كليوبطرة الطيبة بين الاغريق السكندريين . ولكن أبيون كان أول من عبر عن هذه العواطف فى صراحة وشجاعة وعلانية .

ثم جاء بلوتارخ Plutarch (٤٦/١٢٠) فكتب سيرة حياة مارك أنطوني ، وأنصفه . وأنصف معه كليوبطرة . ولم تعز المهارة بلوتارخ . ولكن ما أعوزه حقاً هو الدقة . فأنه عاش طول حياته فى معبد أبوللو فى كيرونياكنسيس . وإن قيل أنه زار الأسكندرية زيارة قصيرة . ولهذا فقد أعتمد فى سرده على الروايات التى نقلها جده لامبرياس . الى جانب خياله الواسع أحياناً . وكان جده قد سمع رواياته عن طبيب سكندري عاصر كليوبطرة ، هو فيلوتاس .

وقد عطف المؤرخ الروماني تاسيتس (٥٥/١١٧) علي قضية مارك أنطوني وكليوبطرة . وحاول أن ينصفهما . وأن يبحث عن أسباب ونتائج أعمالهما ، فى كتابة تاريخه منذ الأعوام ٦٩ ق م . ثم فى دهرياته حتى موت أوجسطس فى عام ٦٩ .

ثم جاء المؤرخ السكندرى أبيان Appian (١٣٨/١٦١) الذى كتب تاريخه الروماني فى روما بالأغريقية . فعزى ضياع مارك أنطوني الى مهارة كليوبطرة ، ونجاحها فى خداعه ! .

وجاء المؤرخ الاغريقى ديوه Dio (١٦٣/٢٣٥) الذى أصبح سيناتوراً وقنصلاً فى روما . فكتب تاريخه الروماني فى ٨٠ جزءاً . معتمداً على ليڤي . وسائراً على نحوه فى القسوة على مارك أنطوني وكليوبطرة .

ويلاحظ أن الشرقيين عامة ، قد أخذوا يجلون كليوبطرة فى القرون الأولى للمسيحية . وأن الملكة زنوبيا (١٦٩/٢٧٣) ملكة بالميرا (تدمر) التى أحتلت مصر فى ٩٠/٢٧٠م ، كانت قد زعمت أنها من نسل كليوبطرة . وأن الأسقف چون ، فى القرن السابع الميلادي ، قد أعتبرها أعظم الملكات .

وكان أول من قارن كليوبطرة بالربة الأغريقية هيلين تروي ، هو الشاعر الروماني لوكان (٣٩/٦٥) . وهيلين تروي هى المرأة التى تزوجت مينيلاوس ، وأختطفها باريس ، وتسببت فى قيام حرب تروي الشهيرة . وقد أخذ التشبيه عن لوكان : دانتيه Dante* (١٢٦٥/١٣٢١) . فوضع كليوبطرة فى الدائرة الثانية من جحيمه . مع هيلين تروي وسميراميس وديدوه .

ولكن من الظلم لكليوبطرة أن تتهم بالشذوذ أو الشهوانية . أو حتى العهر . فأنها لم تعرف ، كما يؤكد المؤرخون ، غير رجلين فى حياتها . الأول هو يوليوس سيزار . والثانى هو مارك أنطوني . وكلاهما كان يفوقها خبرة وتجربة فى هذه الأمور . وكلاهما عرف عدداً كبيراً من

---

* أنظر كتابنا « الرينساس » فى هذه السلسلة .

النساء . وقد قيل أن مارك أنطوني كان يشبه نفسه ، فى قوته ورغبته فى الجنس ، بالآله الأغريقي الروماني هرقل . وأنه كان يستطيب الحديث المكشوف والنكات الجنسية ! .

* * *

وقد عدد بعض النقاد ، أكثر من ٧٧ مسرحية و ٤٥ أوبرا و ٥ باليهات عن كليوبطرة بين الأعوام ١٥٤٠ و ١٩٠٥ . وقد جاء بعد ١٩٠٥ غيرها . وكان أول من كتب عنها درامة بالفرنسية : إيتيين يوديل Jodell فى عام ١٥٥٢ . وقد نقلت الكونتيسة بمبروك تلك الدرامة الى الأنجليزية ، ومثلت على مسارح انجلترا فى عام ١٥٩٢ .

كذلك ترجم چاك أميوه Amyot كتاب بلوتارخ عن مارك أنطونى الى الفرنسية فى عام ١٥٥٩ . وترجمه الى الأنجليزية فى عام ١٥٩٢ سير توماس نورث . وقد ظهرت فى انجلترا بعد عامين من تلك الترجمة ، أى فى عام ١٥٩٤ ، تراچيديا شعرية بقلم صموئيل دانييل Daniel تناولت حياة كليوبطرة بعد وفاة مارك أنطوني .

وأما مسرحية شكسبير Shakespeare «أنطوني وكليوبطرة» فقد ظهرت فى عامى ١٦٠٧/٦ ، معتمدة على ترجمة نورث لكتاب بلوتارخ. ولكن شكسبير لم يلتفت كثيراً للنواحي السياسية التى حركت بطليه . وحصر همه فى تصوير حبهما وتضحياتهما . وقد جعل من كليوبطرة أمرأة قوية ، وأنانية ، وشديدة الغيرة . وظنها قد خانت مارك أنطوني فى معركة أكتيوم ، وهربت بسفنها الى الأسكندرية .

وجدير بالذكر ، أن درامة دريدن Dryden «كلهم للحب» التى ظهرت فى انجلترا فى عام ١٦٧٨ فى نفس الموضوع ، كانت أوسع شهرة فى تلك الأيام من مسرحية شكسبير . وقد تناولت الأيام الأخيرة من حياة مارك أنطوني وكليوبطرة . ولكن شهرتها لم تستمر بعد ذلك . وأخلت الطريق لمسرحية شكسبير .

وقد أعتمدت مسرحية چورچ برنارد شو Shaw* «سيزار وكليوبطرة» التى نشرها فى عام ١٩٠٦ أيضاً على ترجمة بلوتارخ . وصرر شو في مسرحيته يوليوس سيزار رجلاً عاقلاً ، ومتزناً . وفى خريف حياته . وجعل منه ألعوبة بين يدي كليوبطرة . وصور كليوبطرة امرأة لاهية ، تكره الرومان ، وتريد إستعادة مجد الأغريق البطالمة .

* * *

هل كانت كليوبطرة ملكة مصرية أم عاهرة أغريقية ؟ .

اننا نعتبر كليوبطرة كما بينا ملكة بطلمية ، أو أغريقية . ولا نعتبرها مصرية . والا أعتبرنا القرطاجينيين، الذين سبقوها بعض الشئ تونسيين، والفرنسيين ، حين أحتلوا الجزائر فى القرن الماضي وبعض القرن الحالى ، جزائريين .

ولكننا لا نراها عاهرة . من حيث أنها لم تبع جسدها - رغم أطماعها السياسية - لعدد كبير من الرجال . ولم تعرف فى حياتها غير يوليوس

---

* أنظر كتابنا « شو » فى هذه السلسلة .

سيزار ومارك أنطونى . ومن حيث أن زواجها بهما كان تاماً ، الا من عقد الزواج .

ومع ذلك ، فقد يرى البعض أنها قد أستغلت جسدها فى سبيل تحقيق أغراضها السياسية . ومن دون أن تتبع أهواء قلبها . وأن هذا هو سلوك العاهرات . ولكننا نتساءل : كم من النساء ، فى كل زمان ومكان يتبعن أهواء قلوبهن ، وليس أغراضهن فى إختيار من يشاركهن حياتهن؟!

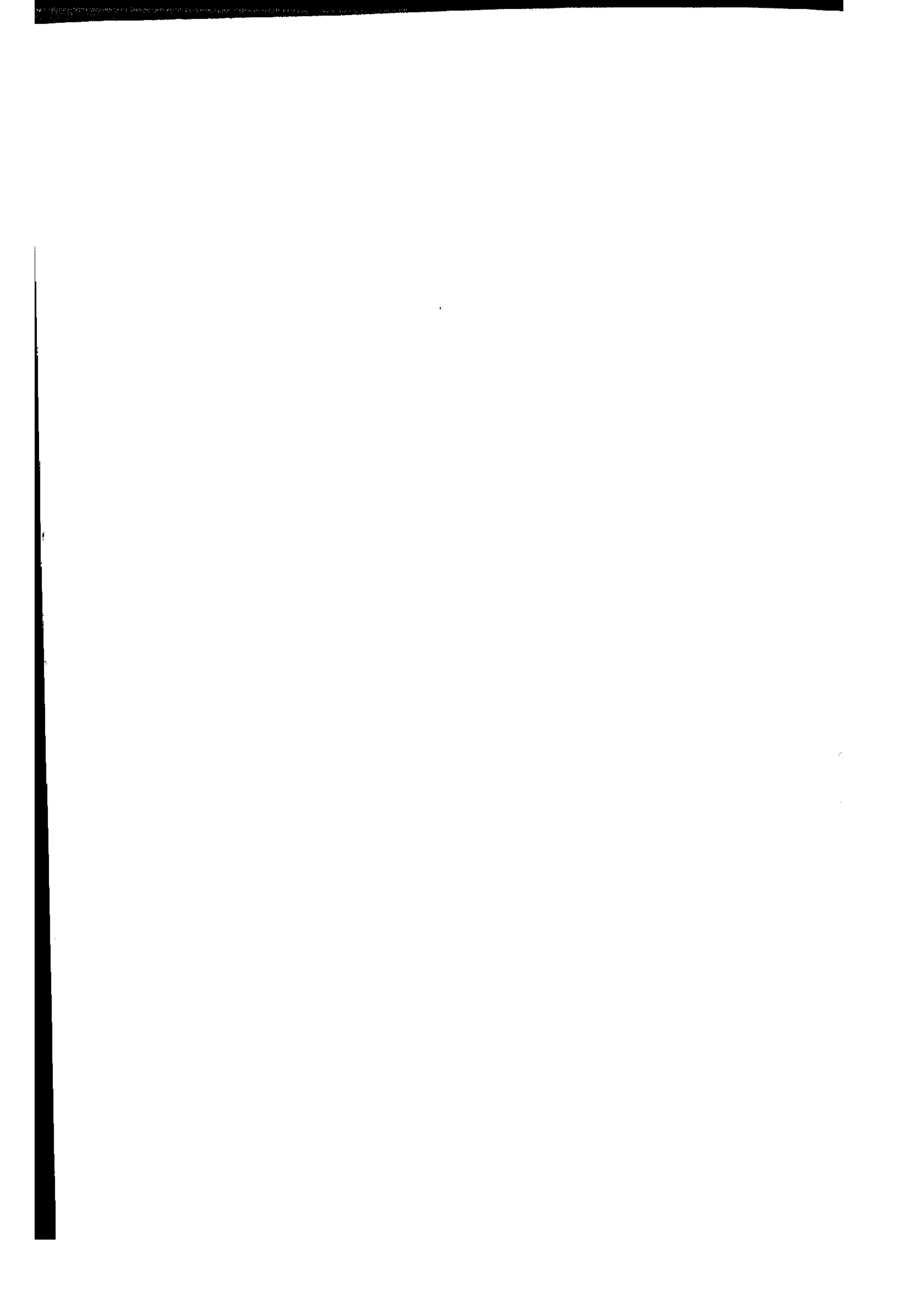
الفهـرس

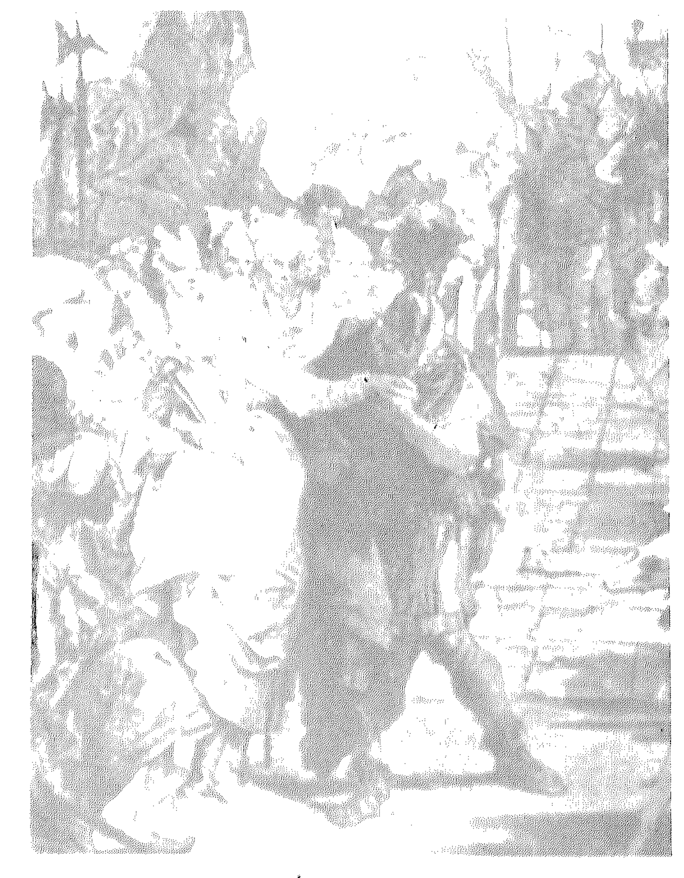
الصفحة

سلسلة « أعلام ومشاهير »

بأشراف الدكتور رءوف سلامة موسى

- عبد الرحمن شكرى
- زكى أبو شادى
- ناجي
- طه حسين
- على عبد الرازق
- زكى مبارك
- مي
- جبران
- شكسبير
- دستويفسكي
- هوجو
- اوسكار وايلد
- نيتشه
- ويلز
- همنجواي
- بروست
- سارتر
- أورويل
- كامي
- تولستوي
- بودلير
- د.هـ. لورانس
- فرجينيا وولف
- فولتير
- روسو
- إبسن
- ديكنز
- جويس
- شو
- ساند
- جوته
- داروين
- فرويد
- الرينسانس
- الثورة الأصلاحية الأنجليزية
- ثورة التحرير الأمريكية
- الثورة الفرنسية
- الثورة الروسية الكبرى
- ديكارت
- شوبنهور
- هيجل
- كانت
- ماركس
- مكيافيلي
- جيفرسون
- واشنجطون
- أتاتورك
- نابليون
- هتلر
- جنكيز خان
- هنري الثامن
- لورانس العرب
- كليوبطرة
- روكسيلانا
- السلطانة الفرنسية
- مدام ديه بومبادور
- راسبوتين
- كولمبوس
- دافنشي
- فان جوخ
- بيكاسو
- تولوز لوتريه
- رامبرانت
- ماتيس





وجه الغلاف : موت كليوبطرة

ظهر الغلاف : لقاء أنطونيو وكليوبطرة

المستقبل بالفجالة والإسكندرية
ومؤسسة المعارف ببيروت

